الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

تصدر عن دار الإفتاء الفلسطينية

العدد التاسع والتسعون 99 - ذو القعدة وذو الحجة 1432 هـ تشرين الأول وتشرين الثاني 2011 م

هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

تصدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية ـ القدس

العدد 99 ذو القعدة وذو الحجة 1432 هـ ـ تشرين الأول وتشرين الثاني 2011م

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

المشرف العام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

سكرتير التحرير

أ. عطا الله عبد الله فلاحين

هيئة التحرير

د. إسماعيل نواهضة

أ. د. حسن السلوادي

د. حمزة ذيب

د. سعيد القيق

د. شفيق عياش

تصميم ومونتاج : يوسف تيسير محمود

المراسلات: مجلة الإسراء ، مديرية العلاقات العامة والإعلام ، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 ـ القدس / ص.ب : 1862 رام الله ـ تلفاكس : 02 ـ 6262495 / 02 ـ 2348603

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.org للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.org

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

فهرس العدد

افتتاحية العدد

الفلسطيني بين الإيمان وصعاب المحن	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

عباد الله المخلصون	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	11

ملف العدد

وَأَذِّنْ فِي النَّـــاسِ بِـالْحَـجِّ	د. خالد الغزاوي	14
توافر عناصر الاستطاعة وأثرها على أداء فـــريضة الحـــج	أ. زكريا السرهد	19
الحج المبرور وتكفيره للذنوب	الشيخ أحمد شوباش	28
في ظلال آيات الحج في القرآن الكريم	أ.محمد ذياب أبو صالح	33
قبسات من حجة النبي محمد،صلى الله عليه وسلم	الشيخ محمد سعيد صلاح	42
فضائل مكة والحرم المكي	أ. لبيب طه	48
وثيقة عرفة التاريخية وحقوق الإنسان	د. شفيق عياش	54
حكم سفر المعتدة من وفاة لأداء فريضة الحج	أ.د. حسن السلوادي	57

وعظ وإرشاد

حذارِ من الغفلة!!	أ. كمال بواطنه	64

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	دار الإفتاء الفلسطينية	69

دراسات متنوعة

مركز الضبط عند الإنسان	أ. يوسف عدوي	74
أحاديث نفخ الروح دراسة في طرق الإسناد والمتن	الشيخ عمار بدوي	82

شعر هادف

قدرة الله جل جلاله	أ. كمال أبو هليل	93
العلم نور	د. مفيد جاد الله	95

نشاطات ...

مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء	الأستاذ مصطفى أعرج	96
مسابقة العدد 99	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 97	أسرة التحرير	111

افتتاحية العدد

الفلسطيني بين الإيمان وصعاب المحن

الشيخ / محمد أحمد حسين ـ المشرف العام

يتعرض الناس على اختلاف مشاربهم إلى مصاعب وخطوب، يواجهونها بأساليب شتى، منطلقين من ثقافاتهم وطاقاتهم، والمتاح لهم من الوسائل، وفي الحالة الفلسطينية؛ فإن المواطن القابض على جمر الاحتلال، يجد نفسه في كثير من الأحيان في حالة من الحصار أوالسجن، الذي تتكبل في محيطه الأيدي والأرجل عن الحركة، وحتى الألسنة تصمت عن الكلام، حذراً من الملاحقة والمضايقة التي تأخذ أشكالاً عديدة ومتفاوتة في الحجم والأثر، وأوضاعاً كهذه تدفع المواطن إلى البحث عن مخرج من هذه الظلمات، فإذا به أمام خيارات كثيرة، يدور أصلحها في فلك التوجيهات الربانية التي لا يأتيها الباطل من فوقها ولا من تحتها، كون مصدرها الوحي الإلهي، الذي نزل بكلام الله على قلب نبيه المختار، صلى الله عليه وسلم.

ومن مضامين تلك التوجيهات، الحث على التمسك بالإيمان كخيار استراتيجي لكل من يؤمن بالله رباً، وبأنه سبحانه صاحب الإرادة المطلقة، والقدرة الكاملة، وأن كل شيء يكون بعلمه سبحانه، ولا يكون إلا بأمره، فالله صاحب الأمر من قبل ومن بعد، وهو على كل شيء قدير، وإن أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وهو الذي أخبر عن هزيمة الروم، وعن عودتهم للانتصار، فافتتح السورة المسماة باسمهم، قائلاً: {الم *غُلِبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن

بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ* وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ* يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} (الروم: 1 – 7)

فهذه الحادثة التاريخية كانت آية ربانية، وبخاصة حين اقترانها بالخبر الرباني عنها، وما تضمنه من قرائن ودلالات على تسلسل مجرياتها، وارتباط تلك المجريات بالقدرة الربانية، فالله بعد أن ساق خبر هزيمة الروم في كلمة { غُلِبَتِ } قطع سبحانه بانتصارهم في مدة زمنية قصيرة ومحددة {بِضْعِ سِنِينَ}، وعقب على هذين الخبرين، بذكر سنة إلهية يرى آثارها كل مبصر في الكون وحركته وما يدور فيه من أحداث، فأمر السابق واللاحق من الأحداث والخلق لله، فهو يقدر النصر والهزيمة، ويمنح القوة والضعف، {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ} فلله الأمر قبل الهزيمة وبعدها، وقبل الانتصار وبعده، وقبل كل شيء وبعده.

وأشارت الآيات الكريمة إلى حالة بشرية، عبر عنها قوله تعالى: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ*بِنَصْرِ اللَّهِ} فالمؤمن بشر، يسره ما يسرهم، والنصر يسر المنتصر، فما بال المسلمين هنا؟ إنه فرحهم بانتصار جماعات الإيمان بالله وكتبه، على الجاحدين المنكرين لحقائق الإيمان ومبادئه، إنه فرح بانتصار الصديق الذي يلتقي المسلم معه حول قواسم إيمانية مشتركة يعظمانها معاً.

ومع أن المعركة بين الروم والفرس، فإن نصر الروم الذي يفرح به المؤمنون، نسب إلى الله، فقال تعالى: {نَصْرِ اللَّهِ} ولم يقل نصر الروم، مع أنه في البداية حين ذكر الهزيمة، نسبها إلى الروم، فقال: {غُلِبَتِ الرُّومُ}، ولما أخبر عن نصرهم القادم قال: {وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ}، فالنصر الذي يجلب الفرح إلى قلوب المؤمنين هو النصر المنسوب إلى الله، وهو النصر الذي يكون بريئاً من شوائب الظلم والطغيان، ونقياً من متعلقات

الغرور، وهو النصر الموهوب من الله الذي يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ، ومن دلالات هذا التعقيب القرآني على هذا الخبر وتداعياته لدى المؤمنين، أنَّ تطلُّع المؤمنين لطلب النصر يجب أن يكون نحو الله، وعلى منهج الله، حيث لا يخيب سائل، ولا يرد دعاء، ولا تتبعثر جهود، وذاك وعد الله، ومن أوفى بعهده من الله،{وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} وهذه الحقيقة الإيمانية قد يغيب استحضارها عن رؤية كثير من الناس ونظرهم ومشاعرهم وقلوبهم، حين تسيطر الغفلة عليهم، فيتيهون حيارى في سراديب التطلعات البشرية القاصرة عن بلوغ الهدي الرباني، فالبشر مهما أوتوا من الدراية والخبرة يبقى نطاق إدراكهم بحاجة إلى النور الرباني، والهدي الإلهي؛ ليحيطوا بما يفوق مداركهم وأنظارهم، {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}.

فالنصر والتوفيق بيد الله، يهبهما لمن يشاء، ويمنعهما عمن يشاء، وهذه الحقيقة الإيمانية ذكرت في كثير من المواضع القرآنية، خلال التعقيب على أحداث وقعت عبر تاريخ الأمم والشعوب والأنبياء عليهم السلام، ومن الشواهد التي حفلت بمثل هذا الذكر، ما جاء في فاتحة سورة الفتح، حيث خلد الله ذكرى الفتح الذي هيأه لنبيه الكريم محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً} (الفتح:1)، فنسب الله فعل الفتح إلى نفسه سبحانه، وعدّهُ جزءاً من نعمته التي أسبلها على نبيه الكريم، مقرونة بالهداية إلى الصراط المستقيم، والتأييد بالنصر الرباني العزيز، {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً* وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً} (الفتح: 2 – 3)، فالله سبحانه هو واهب النصر والتمكين، وهو الهادي إلى الصراط المستقيم، تلك الهداية التي يسألها المصلي المسلم من ربه في كل ركعة من صلاته، معتقداً وموقناً أنه ينجو بها من الزيغ والانحراف والاضطراب والقلق على

المصير، فينعم بها بالسكينة والطمأنينة التي تحفه في أحلك ساعاته وأبهجها، فلا ينتابه غرور بنصر وقوة، ولا يعتريه وهن وإحباط بسبب جراح أصابته، أو حالة عسر ألمت به، مهتدياً بمثل قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً}. (الفتح:4)

فما أحرى المواطن الفلسطيني الذي يؤمن بربوبية الله وألوهيته سبحانه، أن يستشعر المعاني الإيمانية التي تبثها الآيات القرآنية السالفة وأمثالها، وهو يتجرع الصعاب، ويمتطي صهوة الصبر، محتسباً الأجر والثبات، وناشداً النصر والخلاص، من وضع بلغ فيه السيل الزبى، وضاقت بسببه الحناجر، غير أننا لن نظن بالله الظنون بإذنه وتوفيقه وهدايته سبحانه، وسنبقى على العهد مع الله، سيراً على صراطه المستقيم، وسعياً لنيل رضاه سبحانه، وحالنا يقول ماذا تنقمون منا؟ إنها إحدى الحسنيين، بإذن الله وتوفيقه.

فبحر الصعاب أمام الفلسطيني حيث دار أو استدار، لأنه يواجه الاضطهاد والقهر صباح مساء، فالمصاعب تلاحقه في قوته وعمله ودراسته وزواجه وأبنائه، وحتى في الوصول إلى مقدساته وأداء صلواته فيها.

غير أنه يستند إلى ركائز إيمانية تقوي فيه العزيمة، وتبعد عنه شبح الإحباط والقنوط، فهو المؤمن بالواحد القهار، الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، يعز من يشاء ويذل من يشاء، ويوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، فإذا ما انطلق الفلسطيني المحاصر من إيمانه بربه، وعدالة قضيته، وأنه صاحب الحق فيها، فسيكون أقوى على المواجهة وأقدر على التحمل، وأثبت على الحق، إلى جانب سعيه الحثيث نحو العمل على تغيير حاله نحو الأحسن بالجد والمثابرة والعزيمة الصلبة عملاً بهدي الله، حيث كلف سبحانه المؤمنين بالصبر والمرابطة .... ومغالبة العدو بالمصابرة، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (آل عمران: 200)

كلمة العدد

عباد اللّه المخلصون

الشيخ / إبراهيم خليل عوض الله ـ رئيس التحرير

يمر المسلمون بمواسم تعبدية عديدة، يفترض بهم أن يتوجهوا فيها إلى الله، قاصدين رضاه سبحانه، والسير على هداه، فيصوموا رمضان، ويتبعوه ستاً من شوال، ويقيموا ليلة القدر، ويصلوا العيدين، ويؤدوا الصلوات الخمس اليومية، ويقيموا الليل، ويؤتوا الزكاة، لمن ملك نصابها، ويحجوا البيت الحرام إذا استطاعوا إليه سبيلاً، ويؤدوا العمرة، ويذكروا الله آناء الليل وأطراف النهار، ويستغفروه سبحانه وينيبوا إليه، متماشين بكل ذلك مع الغاية الإلهية من خلق الإنس والجن، إذ يقول تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ}. (1)

وقد أمر الله المؤمنين والناس أجمعين بعبادته، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (2)، وقال سبحانه تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. (3)

ومن مقتضيات عبادة الله حق العبادة إخلاصها لله، ففي كل صور العبادة ينبغي أن يخلص العابد لله، عملاً بمقتضى قوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}. (4)

وقد حفلت سورة الصافات بتأكيد فضل عباد الله المخلصين، فاستثنتهم من العقاب وأوصاف الشر، في خمس من آياتها الكريمة، فقال تعالى: {إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} (5)، وفي الآية الخامسة نطق حال عباد الله ومقالهم بإخلاص العبودية لله، فقال تعالى: {لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}. (6)

وجاء الثناء على عباد الله المخلصين في مقابل بيان مآل الجاحدين والمنكرين، فقال تعالى: {إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ * بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ * إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الأَلِيمَ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ * بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ}. (7)

فيستثنى من مصير المجرمين، أصحاب استحقاق العذاب الأليم، عباد الله المخلصون، الذين لهم الرزق المعلوم، والفواكه والتكريم، وجنات النعيم، وما فيها من طيبات ولذات في المطعم والمشرب والمعاشرة.

وفي السورة نفسها-الصافات- استثني عباد الله المخلصون من عاقبة الضالين، الذين لم يأبهوا للنذير، فقال تعالى: {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ* فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ * إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}. (8)

وقال سبحانه: {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ* فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ}. (9)

وعباد الله المخلصون يستثنون من التلبس بالإثم والإفك في عقيدتهم وسلوكهم وأقوالهم، فيقول تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ*أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ* أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ* وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ* أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ* أَفَلا تَذَكَّرُونَ* أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ* فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ* وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ* سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ* إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}. (10)

وفي سورة الحجر، ورد استثناء إبليس لعباد الله المخلصين من إغوائه وتزيينه الانحراف والمعاصي، فذكر الله تعالى قول إبليس فقال سبحانه: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} (11)

وأثنى الله تعالى على رسوله الكريم يوسف، عليه السلام، أنه كان من عباد الله المخلصين، فقال تعالى: {...إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}. (12)

فحتى يكون عبد الله من المخلصين ينبغي أن يخلص التوجه إلى الله، ليُشمل مع مَن كتب الله لهم النجاة من النار، والفوز بالجنة، وعليه الحذر من الوقوع في الشرك والرياء، لمنافاتهما معنى الإخلاص، فالرسول، صلى الله عليه وسلم، يروي عن الله تعالى في الحديث القدسي، فيقول صلى الله عليه وسلم: (قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ

عن الشِّرْكِ، من عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فيه مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ). (13)

ويتوعد الرسول، صلى الله عليه وسلم، المرائي، فيقول ابن عَبَّاسٍ: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (من سَمَّعَ، سَمَّعَ الله بِهِ، وَمَنْ رَاءَى، رَاءَى الله بِهِ). (14)

وعباد الله المخلصون يعبدون الله على يقين وثبات، فلا يتأرجحون بين الانتظام بأداء العبادة، وبين الانقطاع عنها، وهم يعبدون الله في السراء والضراء، في المنشط والمكره، فلا تفتنهم الدنيا وزينتها عن عبادة ربهم، ولا تؤدي بهم المصائب إلى الزيغ عن عبادة الله، فيتحرزون عن أن يعبدوا الله على حرف، لئلا يكونوا من الخاسرين، الذين قال الله تعالى فيهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}. (15)

وينبغي لمن عزم على أن يكون من عباد الله المخلصين أن يحرر عبادته من التقليد الأعمى، فلا يكون من الذين أخبر الله تعالى عن أقوالهم الضالة، فقال تعالى: {قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}. (16)

لأن عبد الله المخلص يعبد الله على بصيرة ويقين، رافضاً أن يكون مطيعاً في أصل عبادته وهيئاتها وشروطها إلا الله رب العالمين ورسوله الأمين، صلى الله عليه وسلم، ويطيع بعد ذلك من لزمت طاعتهم من العلماء والأمراء، ما داموا مطيعين لله، آخذين بمنهجه ومنهج رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}. (17)

والذي يخلص إلى الله العبادة، لا يقع في حبال عبادة الطاغوت، فيستحق بشرى الله ورضاه، مصداقاً لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ} (18)

وعباد الله المخلصون يعبدون الله دون سواه، مستجيبين لأمر الله وإرشاده، حيث أمرهم قائلاً: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ}(19)، فلا يعبدون نبياً ولا أحداً من الخلق، عملاً بمقتضى قوله تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}. (20)

ويحافظ عباد الله المخلصون على اقتفاء منهج من صدقوا الله، فصدقهم الله وعده بالاستخلاف والتمكين في الأرض، واستبدال خوفهم وفزعهم بالأمن والأمان والاستقرار والسكينة، مصداقاً لقوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (21)

ومما ورد في الحديث عن المخلصين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (مَنْ صَلَّى فِي لَيْلَةٍ بِمائَةِ آيَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ صَلَّى فِي لَيْلَةٍ بِمائَتَيْ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ الْمُخْلِصِينَ). (22)

هدانا الله إلى صراطه المستقيم، ونوره المبين، لنكون من عباده المخلصين، الذين أعد لهم جنة عرضها السماوات والأرض، تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبداً.

الهوامش

1.الذاريات: 56.

2. الحج: 77.

3. البقرة: 21.

4. البينة: 5.

5. الصافات: 40 + 74 + 128 + 160.

6. الصافات: 169.

7. الصافات: 33 – 48.

8. الصافات: 71 – 74.

9. الصافات: 122 – 129.

10. الصافات: 148 – 160.

11. الحجر: 39 – 40.

12. يوسف: 24.

13. صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله.

14. صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله.

15. الحج: 11.

16. الأعراف: 70.

17. النساء: 59.

18. الزمر: 17.

19. قريش: 3.

20. التوبة: 31.

21. النور: 55.

22. جامع الأحاديث، ج7، ص256.

ملف العدد

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ (1)

الدكتور خالد الغزاوي

منذ أن انطلقت دعوة إبراهيم، عليه الصلاة والسلام بالنداء إلى الحج من على بطحاء مكة، حتى سمعت هذا الأذان أرواح المؤمنين، فانطلقت حناجرهم بإجابة الدعاء: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)، وتوافد الحجيج فيما بعد قبل الإسلام، وبعد مجيء النبي، صلى الله عليه وسلم، صار الحج أحد أركان الإسلام الخمسة بقوله تعالى: {...وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} (2)، وأضحى المسلمون في شتى أنحاء الأرض يضحون بالغالي والنفيس من أجل أن تحصل لأحدهم فرصة الحج إلى بيت الله العتيق، ولو مرة في العمر.

ويشعر المسلم وهو يؤدي شعائر الحج بفيض غامر من شحنات العاطفة والمحبة والشوق لله تعالى، فيرتقي في مقام العبودية من خلال هذه العبادة، ذلك أن الحج ليس مجرد أعمال مخصوصة في تلك الديار، بل هو رحلة إلى الله، يشعر فيها الحاج بالصلة القوية مع الله تعالى، وبالسكينة تغمر أجواء روحه ونفسه، وهو يقف في البلد الحرام، ويطوف بذلك البيت الذي جعله الله تعالى رمزاً لوحدة المسلمين على مدار الساعة، حيث يتوجه ملايينُ المسلمين إليه في قبلتهم وصلاتهم ودعائهم خمس مرات في اليوم

والليلة؛ استجابة لقوله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...} (3)، إنه البيت الحرام الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، أول بيوت الله في الأرض، التي فيها تسكب العبرات، ويقبل فيها الدعاء، وتشعر وأنت هناك بالانتماء إلى خير أمة أخرجت للناس، بل تنتمي في تلك الديار إلى أنبياء الله، الذين عمروا هذا المكان قبلك، قال تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(4).

ولا بد في الحج من أن يتفرغ الحاج لربه لأداء مناسكه، ومن هنا؛ فلا بد من مغادرة الأوطان، وترك الأهل والمعارف، والتعرض لمشاق السفر، وإنفاق المال، ومهما أنفقت من المال، أو بذلت من جهد في سبيل هذه العبادة، فسوف تحصل على نتائج باهرة من الخير العميم، والثواب الجزيل، والقرب من الرحمن الرحيم، وقد روى البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ حَجَّ لله فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) (5)، وقال صلى الله عليه وسلم: (الحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللَّهِ، إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ، وَإِنْ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ) (6)، وقال صلى الله عليه وسلم: (تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ)(7).

وتذكر وأنت في تلك الديار المباركة حين تلبس ملابس الإحرام، وتدخل في هذا النسك أنك تتجرد إلى الله عز وجل، تاركاً شهوات الدنيا ومشاغلها وهمومها، وأنت تقول مع ملايين الحجيج: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)، وحقيقة هذه التلبية مع لباس الإحرام أنها تنقلك

نقلة بعيدة عن عالمك المحدود في هذه الدنيا الفانية لتصلك بالخلود في جنة القرب مع الله تعالى، وكأنك بين يدي الساعة يوم يقوم الناس لرب العالمين، وأنت تحظى بالسعادة الغامرة في رفقة الأنبياء والصالحين، ومع خاتم هؤلاء الأنبياء الكرام، في حوض المصطفى الشريف، ولا عجب؛ فأنت من وفد الله تعالى، وزواره في بيته الحرام، وحق على المزور أن يكرم زائره.

وهناك في عزمك يوم اللقاء الأكبر تعرض لأعظم نفحات الله تعالى؛ لتطهر قلبك وروحك من كل أدران الخطيئة، ولتعلم مقدار كرامة الله عليك، إذ جعلك من أتباع هذا النبي العظيم، ولتجد نفسك أنك أمام مسؤولية عظيمة مع الله تعالى، ألا وهي الأمانة التي حملتها، وأشفقت من حملها السماوات والأرض، فحافظ على هذه الأمانة، وكن من هؤلاء السعداء الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر. وعندما تفيض مع هذه الجموع الحاشدة، وبعد أن استنار قلبك بعظم المشاعر الجياشة، وهنا وأنت في مقعد الصدق مع الله تعالى، تذكر عداوة الشيطان لك، كما أخبر القرآن بذلك {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} (8)، وهنا ينبغي أن تفعل بسنة الحبيب في هذه المشاعر المقدسة، فتلتقط الحصا من مزدلفة استعداداً لترمي بها الشيطان بنفسك، وأنت تتخلص مع كل حصاة ترميها في الحجرات الثلاث من وساوس النفس، وذنوب العمر، وتتوب إلى الله تعالى توبة صادقة، ويقول الإمام الغزالي بهذا الصدد: (اعلم أنك في الظاهر ترمي الحصا، وفي الحقيقة ترمي بها وجه الشيطان، وتقصم ظهره، ولا يحصل له إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله تعالى) (9)، فهناك رمى إبراهيم، عليه السلام، ومن بعده ابنه إسماعيل وأمه هاجر رميا عدو الله طاعة للرحمن سبحانه وتعالى.

وهكذا مع بقية المناسك من نحر الهدي والحلق ونحوه، تعبر عن شكر الله، تعالى على

نعمه التي لا تحصى، وتتعهد بينك وبين الله تعالى أن تضحي بكل غالٍ ورخيص في سبيل مرضاة الحق جل وعلا.

أخي الحاج

إن من أعظم نعم الحج وأسراره علينا هو أنه مؤتمر عظيم سنوي، يدعو الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين إليه، فيستجيب له من صفت نفوسهم، ومن قدر له أداء المناسك في الحج، فيجتمعون على صعيد واحد في مؤتمر إلهي، يتذاكرون أمورهم وهمومهم، ويتباحثون في شؤونهم المختلفة، وحل مشكلاتهم ومشكلات الأمة المسلمة؛ لأن هذه الأمة كالجسد الواحد كما وصفها الرسول، صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) (10)، والله تعالى يخاطب هذه الأمة قائلاً: {وَإِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}(11).

لذا؛ فإن مسؤولياتهم عظيمة في نصرة بعضهم بعضاً، وخصوصاً تلك الشعوب التي تنادي بالحرية، والكرامة، والعدالة، وتطبيق الإسلام، فإنه لا كرامة لهذه الأمة إن لم تقل للظالم أنت ظالم، وإن لم تحاول رفع ظلمه، فهي أمة آثمة، فالمؤمنون تجمعهم أخوة الإيمان التي تفرض عليهم أعباء لا بد منها لمواجهة هذه المواقف.

وفي حجته صلى الله عليه وسلم؛ حجة الوداع، خطب خطبته في حجة الوداع، فنادى العرب، ونادى المسلمين، ونادى الإنسانية بهذه الشعارات العظيمة، وبأن الإنسانية متساوية في الكرامة والحقوق الإنسانية، وأن الكرامة للتقوى، قائلاً: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى) (12)

ولا نغالي في القول إن موسم الحج في كل عام أمر عظيم، يحسب له أعداء الدين ألف حساب؛ خوفاً من أن تكون هذه المواسم مصدر رعب لهؤلاء الذين يمكرون في الظلام ضد هذا الدين وأهله، أو أن تدفعهم للوحدة والاتحاد فيما بينهم، فيتغير حينها وجه العالم الإسلامي، ويستعيد المسلمون قوتهم وعزتهم وكرامتهم، وينتصرون على أعداء هذا الدين، ويحققون ما يطمحون إليه من إقامة دين الله تعالى في الأرض كلها، مصداقاً لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} (13)، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الهوامش

1. الحج: 27.
2. آل عمران: 97.
3. البقرة: 144.
4. البقرة: 127 – 128.
5. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور.
6. سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب فضل دعاء الحاج.
7. سنن الترمذي، كتاب الحج عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة.
8. فاطر: 6.
9. الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار الشعب، القاهرة، ج3، ص467 – 468.
10. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.
11. المؤمنون: 52.
12. مسند أحمد، مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم.
13. الفتح: 28.

توافر عناصر الاستطاعة وأثرها على أداء فريضة الحج

الأستاذ زكريا السرهد / رام الله

فرض الله سبحانه وتعالى فريضة الحج على كل مسلم بالغٍ عاقلٍ قادرٍ، لقوله تعالى: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}(1). ولقوله تعالى: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} (2). ويقول صلى الله عليه وسلم: (بُنِيَ الإِسْلامُ عَلىْ خَمْسٍ؛ شَهادَةُ أنْ لا إلهَ إلاّ الله، وَأنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ، وَإقامُ الصَّلاةِ، وَإيْتاءُ الزَّكاةِ، وَالحَجُّ، وَصَوْمُ رَمَضانِ).(3) ويقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (الحَجُّ المَبْرورُ لَيْسَ لَهُ جَزْاءٌ إلاّ الجَنَّة)(4).

وفي أصل التكليف بفريضة الحجّ أن الله سبحانه وتعالى أوجبها مرةً واحدةً على المرء، حينما تتوافر عناصر الاستطاعة. وتعرّف عناصر الاستطاعة الشرعية على أنها القدرة على أداء الحجة البذلية. وتتكون الاستطاعة من العناصر الآتية(5):

1. **المقدرة المالية:** وتعد من أهم عناصر المقدرة والاستطاعة، التي تمكن الإنسان المسلم من أداء فريضة الحج لحظة خروجه متوجهاً إلى بيت الله الحرام، حتى عودته؛ فالحاج بحاجة إلى نفقات التنقل، والطعام، والشراب، والسكن، وغيرها من النفقات الأساسية

الأخرى، التي لا يتمكن بدونها من أداء فريضة الحج.

2. **القدرة البدنية:** إن أداء فريضة الحج بحاجة إلى ممارسة سلوك عملي، يتمثل في أداء مناسك الحج المختلفة. وهذا الأمر بحاجة إلى قدرٍ معينٍ من القدرة البدنية، تمكن الحاج من التنقل، والتحرك وسط الزحام، وتحمل مشاق السفر.

3. **الأمن والسلامة:** بأن يكون الحاج آمناً على نفسه في طريقه إلى بيت الله الحرام، وأن يكون آمناً على أهله في غيابه، فإذا خاف على أهله من الأذى المحتمل، أو كان طريقه غير آمنٍ، فلا يعدّ مستطيعاً.

4. **الرجوع إلى الكفاية:** أي رجوع الحاج إلى حياته الطبيعية بعد انتهائه من أداء فريضة الحج، ويستطيع إعاشة نفسه وعائلته بعد الرجوع، ولا يخشى الفقر والعوز والحاجة بسبب صرف ما عنده من مال لأداء فريضة الحج.

5. **السعة في الوقت:** وجود القدر الكافي من الوقت لإتمام فريضة الحج لحظة ذهابه إلى مكة، إلى حين عودته بعد إتمام مناسك الحج.

إن اشتراط القدرة أو الاستطاعة لأداء فريضة الحج قد جاء من باب التيسير على المسلم، لقوله تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}(6). كما أن توافر عناصر الاستطاعة للحاج، يجعله متمكناً من أداء المناسك بشكل كامل غير منقوص. كما يجعله متمكناً من تأدية هذه العبادة بخشوع. حيث إن توافر عناصر الاستطاعة يصرفه عن التفكير في أمور الدنيا وهمومها. فهو لا يفكر في نقص المال، ولا يقلق على أمنه وأمن أسرته، ولا يخشى على أسرته من العوز

والحاجة. فيتوجه مخلصاً لله تعالى، ويؤدي هذه الفريضة، وهو يشعر بالراحة والطمأنينة التي لا تتوافر إلا إذا توافرت عناصر الاستطاعة مجتمعةً.

فالطمأنينة مسعى وهدفٌ يحث الإسلام على تحقيقه بين المسلمين، وقد ربط سبحانه وتعالى بين الطمأنينة والإيمان به لقوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}(7). وقوله سبحانه وتعالى: {وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}(8). وقوله سبحانه وتعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}(9). ويرى عالم النفس الشهير (سيجموند فرويد) أن الدين يقلل من إحساس الفرد بالقلق، وأن العقيدة تحمي الإنسان من اليأس بإعطائه الفرصة؛ لتأكيد علاقته مع الله واعتماده عليه(10). وأداء مناسك الحج فرصةٌ عظيمةٌ للإنسان المسلم، تمكنه من التقرب إلى الله، وتوثيق علاقته معه وتوكله عليه.

فالإسلام دين الطمأنينة والسكينة، يسعى إلى بث الأمن والسلامة بين المسلمين؛ حتى يتوجهوا إلى الله مخلصين في عباداتهم. ومن هنا؛ يأتي ربط توافر عناصر الاستطاعة بأداء فريضة الحج. فالله سبحانه وتعالى فرض هذه العبادة على المسلمين، وأرادها أن تؤدى على أكمل وجه، خاصة وأنها العبادة الوحيدة المفروضة على المسلم مرة واحدة، لكي تؤتي ثمارها، وتحقق الأهداف المرجوة من أدائها. يقول تعالى: {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ

إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(11) . وقال الرسول، صلى الله عليه وسلم، في حديثه الشريف: (مَنْ حَجَّ للهِ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجِعَ كَيَوْمِ وَلِدَتْهُ أُمُّهُ) (12)، فالحج مرحلةٌ فاصلةٌ في حياة الإنسان المسلم، تهدف إلى إحداث التعديل الإيجابي على سلوكه، وذلك بأن يكون الحج حجاً مبروراً. فالحجّ المبرور هو (الحج المقبول)، ومن علامات قبول الحج أن يرجع العبد خيراً مما كان، ولا يعاود المعاصي. وقال القرطبي في الحج المبرور: (إنه الحج الذي وفّيت أحكامه، ووقع موقعاً لما طُلِبَ من المكلف على الوجه الأكمل)(13). ومن شأن تحقيق الطمأنينة في نفس الحاج أن تجعل حجه مبروراً ومقبولاً، وأن تكون أحكامه قد وفيّت. إن توافر عناصر الاستطاعة تساهم إلى حدٍّ كبيرٍ في تحقيق هذه الطمأنينة، حيث توفر وضعاً نفسياً مستقراً للحاج. فقد وجد عالم النفس (هانم ياركندي) في دراسةٍ له أن هناك علاقة ارتباطٍ موجبةً بين الإحساس بالطمأنينة النفسية، ودرجة الضغط المرتفع الذي يؤثر على حالة الفرد النفسية(14).

وترتبط عناصر الاستطاعة للحج بإشباع مجموعة من الحاجات الإنسانية الأساسية، وفي مقدمتها إشباع حاجاته وحاجات أسرته من الطعام، والقدرة البدنية، وتحقيق الأمن له ولأسرته. وقد ذكرها الرسول، صلى الله عليه وسلم، في حديثه الشريف بقوله: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سربه، مُعافىً في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّما حِيْزَتْ لَهُ الدُّنيا)(15). فالرسول، صلى الله عليه وسلم، يرى أن إشباع الحاجات الأساسية للإنسان المسلم، تجعله يشعر بالرضا التام، واصفاً إشباع هذه الحاجات بتملك الدنيا. فتوافر الأمن، والسلامة، والقدرة الجسدية، والمأكل، والمشرب، تمكن الإنسان المسلم من العيش في طمأنينة واستقرار. لذا، فإن توافر عناصر الاستطاعة المرتبطة بإشباع

الحاجات الأساسية من المقدرة المالية والقدرة البدنية والأمن والسلامة من شأنها أن تحقق الطمأنينة في نفس الحاج، وتمكنه من إتمام أحكام الحج. فعندما تُشبع حاجاته وحاجات أسرته الأساسية، ينحصر تفكيره في عبادة الله وأداء مناسك الحج. ويظهر هذا الارتباط أيضاً بين توافر الطعام والرزق والأمن من جهة، وإشاعة الطمأنينة بين الناس من جهة ثانية، والله سبحانه وتعالى يقول: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمَ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ}(16). فالله سبحانه وتعالى يحث الناس على عبادته؛ لأنه أنعم عليهم بالطمأنينة التي مبعثها إشباع الحاجات الأساسية من الطعام، وتحقيق الشعور بالأمن. فيقول سبحانه وتعالى: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ}(17). وقد جاء ذكر إشباع الحاجة إلى الطعام أسبق على ذكر إشباع الحاجة إلى الأمن وفق ما ورد في الآية الكريمة. وقد قام العالم (أبراهام ماسلو) بترتيب تدرج الحاجات الإنسانية على شكل هرم، وعدّ أن الحاجة إلى الطعام هي من الحاجات الفسيولوجية الأساسية، فوضعها وفق التدرج في قاعدة الهرم. ثم جاءت حاجات الأمان في المرتبة الثانية من التدرج، والتي تتضمن (السلامة الجسدية، والأمن الوظيفي، وأمن الموارد، والأمن الأسري والصحي، وأمن الممتلكات)(18).

فالإنسان يشعر بالأمن والطمأنينة النفسية إذا أمن الحصول على ما يشبع حاجاته الأساسية الضرورية(19). ويشير عالم النفس (أريكسون) إلى أن الحاجة إلى الأمن باعتبارها من أهم الدوافع النفسية الاجتماعية التي تحرك السلوك الإنساني، وتوجهه نحو غاياته، فإذا أخفق الفرد في تحقيق حاجته من الأمن، فإن ذلك يؤدي إلى عدم القدرة على التحرك والتوجه نحو تحقيق الهدف(20). وتعد الطمأنينة النفسية أو الانفعالية

هي الأمن الشخصي، أو أمن كل فرد على حدة، وهي حالة يكون فيها إشباع الحاجات مضموناً، وغير معرضٍ للخطر(21).

إن توافر القدرة البدنية للحاج تمكنه من أداء مناسك الحج بشكل مكتمل؛ لأن أداءها يعتمد بشكلٍ أساسي على الحركة والتنقل من مكان إلى آخر. وعندما تتوافر القدرة البدنية، فإن الحاج سوف يكون في وضعٍ نفسي مستقرٍ، بعيدٍ عن التوتر والانفعال. ويكون تركيزه على أداء مناسك الحج بخشوع. حيث إن المرض وكبر السن قد يجعلان الحاج بحاجة إلى الاعتماد على الآخرين، مما يضعف تركيزه على أداء مناسك الحج، لانشغاله بالتفكير في الهموم التي تتعلق بعدم قدرته على التحرك والتنقل. ولهذا ينصح المسلم أن يبادر إلى تأدية فريضة الحج عند توافر عناصر الاستطاعة، وخاصة ما يتعلق بالقدرة البدنية. فالتأجيل قد يضطر المسلم إلى تأدية فريضة الحج وهو كبير السن، ويعاني من الأمراض، مما يَعوقُ قدرته على القيام بمناسك الحج على الوجه الأكمل. قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (تَعَجَّلوا إلى الحَجِّ، فإنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْرِيْ ما يَعْرِضُ لَه). (22). وقال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أرادَ الحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ المَرِيْضُ، وَتَضِلُّ الرَّاحِلَةُ، وَتَعْرِضُ الحَاجَةُ)(23). وعن أنسٍ، رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأىْ شَيْخاً يُهادىْ بَيْنَ ابْنَيْهِ، قالَ: ما بالُ هذا؟ قالوا: نَذَرَ أنْ يَمْشيَ، قالَ: إنَّ اللهَ عَنْ تَعْذيبِ هَذا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ)(24). فالله سبحانه وتعالى عندما فرض العبادات على الناس، أرادها أن تؤدى بيسر، وبلا عناء. وتوافر القدرة البدنية لدى الحاج، تجنبه المعاناة والمشقة.

كما أن عبادة الحج أرادها الله أن تكون تكفيراً للذنوب، وأن تحدث تغييراً إيجابياً في سلوك المسلمين، وأن تكون مرحلة فاصلة في حياة المسلم لتنقله إلى مرحلة أفضل، وأن

لا تكون سبباً في انقطاعه عن حياته العملية والمعيشية، والتي قد يفقد فيها مصدر رزقه ورزق أسرته، لحرص الإسلام على الإنسان المسلم، وعدم تعريضه للمعاناة والمشقة. فتوافر عنصر الاستطاعة المتعلق (بالرجوع إلى الكفاية) جاء ليجنب المسلمين آفة الوقوع تحت وطأة الحاجة. حيث إنَّ عدم توافر عنصر (الرجوع إلى الكفاية) للحاج، يجعله قلقاً على مستقبله، ومستقبل أسرته؛ نتيجة تخوفه من انقطاع مصدر رزقه، بسبب غيابه لأداء فريضة الحج، فالقلق حالة انفعالية غير سارة، تختلط فيها مشاعر الخوف المستمر والفزع والانقباض والهم نتيجة توقع شر وشيك الحدوث (25). ويأخذ التفكير في هذا الأمر حيزاً واسعاً من وقت الحاج، على حساب تفرغه لعبادته في أثناء تأدية مناسك الحج الذي يأمل منه أن يكون حجاً مكتملاً ومبروراً.

إن أداء فريضة الحج محددٌ بأوقات معينة، لقوله سبحانه وتعالى: {الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ} (26). ومن باب التيسير على المسلمين، فقد فرضها الله مرة واحدة على كل مسلم بالغ عاقل قادر، خطب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقال: (أَيُّها النَّاسُ، قَدْ فرضَ الله عَلَيْكُمُ الحَجَّ، فَحِجّوا. فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عام يا رَسولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ، حَتّىْ قَالَها ثَلاثَاً. فَقالَ رَسوْلُ اللهِ، صَلّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَما اسْتَطَعْتُمْ)(27). وهذا التيسير يمكّن الإنسان المسلم من اختيار العام المناسب من حياته لأداء فريضة الحج، والتي تكون فيها ظروفه مناسبة لأدائها من حيث توافر عناصر الاستطاعة. ولذا، على المسلم أن يتجنب أداء هذه الفريضة وهو ليس على سعة من وقته، كأن يكون منشغلاً في أموره المعيشية، أو أن يكون لديه انشغال بأسرته بسبب مرض أو لأي أسباب أخرى. فعليه أن يقوم بتنظيم أموره وأمور أسرته، والإيفاء بالتزاماته تجاه الآخرين، وأن يخصص وقتاً كافياً لأداء فريضة الحج. حيث إن أداء هذه الفريضة تحت وطأة ضغط الوقت، تقلل

من خشوعه وتفرغه لأداء المناسك على الوجه الأكمل، فمن أسباب التوتر النفسي ضيق الوقت المتاح للقيام بالأعمال والالتزامات التي يجب الوفاء بها (28).

لقد أراد الله من أداء فريضة الحج أن يكون فيها منافع للإنسان المسلم. قال سبحانه وتعالى: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ}(29). وكثيرة هي المنافع التي تعود على المسلم من أداء فريضة الحج، ومن ضمن هذه المنافع ما يتحقق من راحة نفسية وعقلية وجسمية للحاج، نتيجة للابتعاد عن مصاعب الحياة وهمومها، والاسترخاء الذهني والجسمي الذي يتوافر للحاج، والله سبحانه وتعالى أراد من توفير عناصر الاستطاعة لأداء فريضة الحج تحقيق المنافع للمسلمين، فملايين من المسلمين يتواجدون ويتحركون في بقعة محددة، ونادر حدوث تزاحم أو شجار بين هذه الأعداد الهائلة من البشر، وهو أمرٌ لا يمكن أن يتحقق إلا بإرادة من الله عزّ وجلّ عبر أحكامه التي فرضها على البشر. فيما أننا نسمع كثيراً عن أحداثٍ مؤلمة تقع هنا وهناك في تجمعات بأعداد أقل بكثير مقارنة بأعداد حجاج بيت الله الحرام. فقد نهانا الله سبحانه وتعالى عن الخصام أثناء تأدية مناسك الحج، لكي تتحق الظروف والأجواء المريحة لتأدية هذه الفريضة بخشوع واكتمال، قال تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ}(30).

الهوامش

1. آل عمران: 97.
2. الحج: 27.
3. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي، صلى الله عليه وسلم، بني الإسلام على خمس.

4. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة.
5. www.alahd.com في معنى الاستطاعة للشيخ السيد سلمان. 24 /12 /2005م.
6. البقرة: 286.
7. الرعد: 28.
8. آل عمران: 126.
9. الحج: 11.
10. www.ibtesama.com د. عمر شاهين، الإسلام والصحة النفسية، 26 /2 /2007م.
11. البقرة: 196.
12. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور.
13. www.islamhouse.com مقصود الحسن الفيضي. في معنى الحج المبرور. 29 /11 /2008م
14. ياركندي، هانم. (مستوى ضغط المعلم وعلاقته بالطمأنينة النفسية وبعض المتغيرات الديمغرافية). المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد السادس، أيلول، 1993م، ص 44.
15. سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب 34.
16. النحل: 112.
17. قريش: 3 – 4.
18. www.ar.wikipidia.or تدرج الحاجات. 23 /6 /2010م.
19. عودة، محمود آخرون. الصحة النفسية: علم النفس والإسلام. الكويت، دار القلم، 1997م، ص 89
20. جبر، محمد. (بعض المتغيرات الديمغرافية المرتبطة بالأمن النفسي)، مجلة علم النفس، م 10، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: مصر، 1995م، ص 81.
21. زهران، حامد. (الأمن النفسي دعامة للأمن القومي العربي)، مجلة الدراسات التربوية، م 4، ع 19، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، 1989م، ص 196.
22. مسند أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبدالله بن العباس.
23. مسند أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبدالله بن العباس.
24. صحيح البخاري، كتاب الأمصار وجزاء الصيد، باب من نذر المشي إلى الكعبة.
25. القريطي، عبد المطلب أمين، في الصحة النفسية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة: مصر، 1998م. ص121.
26. البقرة: 197.
27. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر.
28. www.almooftah.com
29. الحج: 28.
30. البقرة: 197.

الحج المبرور وتكفيره للذنوب

الشيخ أحمد شوباش / مفتي محافظة نابلس

قال الحق سبحانه: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} (1).

وعن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلا الْجَنَّةُ) (2).

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ، وَفْدُ اللَّهِ؛ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ).(3)

وكلمة الوفد الواردة في الحديث: هم القوم يجتمعون ويريدون البلاد، وهم هنا الذين يقصدون بيت الله الحرام.

وعن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ النَّارِ مِنْ يوم عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلائِكَةَ،

فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلاءِ). (4)، وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ هَلْ عَلَى النِّسَاءِ مِنْ جِهَادٍ؟ قَالَ: نَعَم؛ جِهَادٌ لا قِتَالَ فِيهِ، الْحَجُّ والْعُمْرَةُ).(5)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ خَرَجَ حَاجّاً فَمَاتَ، كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الحَاجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ مُعْتَمِراً، فَمَاتَ كُتِبَ لَهُ أجر المعتمر إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَاتَ، كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْغَازِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)(6)، وعن عمرو ابن العاص أنه قال: (فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإِسْلامَ فِي قَلْبِي، أَتَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ :ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟ قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟ قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ) (7)، وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: (مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعاً يُحْصِيهِ، كُتِبَتْ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً، وَمُحِيَتْ عَنْهُ سَيِّئَةٌ، وَرُفِعَتْ لَهُ بِهِ دَرَجَةٌ، وَكَانَ لَهُ عَدْلَ رَقَبَةٍ) (8)، وعن بريدة، رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ، كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ) (9).

ولقد جاء في أحاديث عدة بيان فضل الحج المبرور وجزائه، فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: "يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ تُرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ، أَفَلا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ) (10)، وفي رواية: (لَكِنَّ أَحْسَنَ الجِهَادِ وَأَجْمَلَهُ؛ الْحَجُّ حَجٌّ مَبْرُورٌ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَلا أَدَعُ الْحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)(11).

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلا الْجَنَّةُ) (12).

والحج المبرور كما قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: عن ابن خالويه قال: (المبرور المقبول)، وقال غيره: (الذي لا يخالطه شيء من الإثم) ورجحه النووي، وقال القرطبي: (الأقوال التي ذكرت في تفسيره متقاربة المعنى، وهي أنه الحج الذي وفيّت أحكامه، ووقع موقعاً لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل). (13)

فالحج المبرور هو ما اجتمعت فيه الأمور الآتية:

1 - أن يكون خالصاً لله سبحانه، فلا ينبغي أن يحمل الإنسان على الحج إلا ابتغاء رضوان الله تعالى.

2 - أن يكون الحج على صفة حج النبي، صلى الله عليه وسلم، ويتبع فيه المسلم الرسول، صلى الله عليه وسلم، ما استطاع.

3 - أن يكون من مال مباح حلال، ليس حراماً، وأن لا يكون من ربا أو غش أو رشوة أو قمار.

4 - أن يجتنب فيه الرفث والفسوق والجدال، إلا جدالاً، يراد منه إثبات حق، أو إبطال باطل، وأن يكثر من ذكر الله. (14)

وما أحسن ما قاله ابن عبد البر: وأما الحج المبرور، فقيل: هو الذي لا رياء فيه ولا سمعة، ولا رفث ولا فسوق، ويكون بمال حلال. (15)

فما السيئات التي يكفرها الحج؟

الحج مكفر للسيئات، فقد روى أبو هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ). (16)

وقد اختلف العلماء، هل الحج يكفر الصغائر والكبائر، وحقوق العباد؟

يجيب ابن حجر: ظاهره أن من حج، ولم يأت بالجماع، ولكل ما يريده الرجل من المرأة، ولم يفسق، فلم يأت بسيئة، ولا معصية، فقد رجع بغير ذنب، وغفر له الصغائر والكبائر والتبعات، والحديث لم يذكر الجدال مع أنه مذكور في الآية: {فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ} (17)، لأنه اكتفى في الحديث بذكر بعض المخالفات، أو لأن الجدال داخل في الفحش والرفث.

ويرى الطبري، رحمه الله، أن حقوق العباد يكفرها الحج في حق من تاب وعجز عن الوفاء.

والصحيح ما قاله الترمذي: إن الحديث مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحق الله لا العباد، ولا يسقط الحق نفسه، بل من عليه صلاة يسقط إثم تأخيرها لا نفسها، ومن عليه صيام وجب القضاء، وغفر له الإثم ويبقى الحق، ولا بد من بذل حقوق العباد لأصحابها أو مسامحتهم، ولا يسقط حق الآدمي من مال أو عرض أو دم بالحج.

وفي جامع العلوم والحكم: أن الكبائر لا تغفر بدون التوبة، وهو قول الجمهور وهو الصحيح؛ لأن التوبة فرض على العباد، وقد قال الله: {وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(18).

ولهذا؛ فإن على الحجاج غفر الله لي ولهم، أن يحرصوا مع الحج على التوبة النصوح، بل قبله ومعه ومع كل موقف، والندم عما سلف من الذنوب خاصة الكبائر، مع العزم على عدم العودة إليها حتى تقبل توبتهم، والتحلل من حقوق العباد، وقطع الخصومات قبل سفرهم لأداء هذه العبادة المباركة. (19)

الهوامش

1. الحج: 27 – 28.
2. سنن الترمذي، كتاب الحج عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة.
3. سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الغازي في سبيل الله.
4. صحيح مسلم، كِتَاب الْحَجِّ، باب فِي فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَيَوْمِ عَرَفَةَ.
5. مسند أحمد، مسند النساء، مسند عائشة بنت الصديق، رضي الله عنها، وصححه الأرناؤوط.
6. رواه أبو يعلى في المسند برقم 6357، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره برقم 1114.
7. صحيح مسلم، كِتَاب الإِيمَانِ، باب كَوْنِ الإِسْلامِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ وَكَذَا الْهِجْرَةِ وَالْحَجِّ.
8. السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الحج، باب الاستكثار من الطواف بالبيت ما دام بمكة، وقال في صحيح المتجر الرابح: حديث حسن (حديث رقم 482).
9. مسند أحمد، بَاقِي مُسْنَدِ الأَنْصَارِ، النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبع مائة ضعف.
10. سنن أبي داود، كتاب المناسبك، باب الرجل يحج عن غيره وصححه الألباني.
11. صحيح البخاري، كتاب الإحصار والصيد، باب حج النساء.
12. صحيح البخاري، كِتَاب الْعُمْرَةِ، بَاب وُجُوبِ الْعُمْرَةِ وَفَضْلِهَا.
13. فتح الباري، 3 /446، وانظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 2 /408.
14. المقالات النفيسة، ص 13 وما بعدها، شرح رياض الصالحين، 3 /448 – 449، مسائل يكثر السؤال عنها في الحج 5.
15. التمهيد، 22/ 39، الاستذكار، 4 /104)
16. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور.
17. البقرة: 197.
18. الحجرات: 11.
19. حاشية ابن عابدين، 2 /623، فتح الباري 3 /447، أسرار الحج 27، الاختيارات الفقهية، 467، المقالات النفيسة، 37، جامع العلوم والحكم،231.

في ظلال آيات الحج في القرآن الكريم

الأستاذ: محمد ذياب أبو صالح

الحج ركن من أركان الإسلام الخمس، قال تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}(1).

كما ورد ذكره في الأحاديث النبوية الشريفة، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) (2).

إذن؛ فالحج من أجلّ الأعمال التي يقوم بها الإنسان المؤمن، وإننا إذ نعيش في ظلال هذه الآية الكريمة، نتنسم الآيات البينات، والمعجزات الباهرات.

إن هذه الآيات الكريمات ترتبط بالآيات القرآنية السابقة المتعلقة بقوله سبحانه وتعالى: {قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(3).

والخطاب هنا موجه إلى اليهود الذين زاغوا عن ملة إبراهيم الخليل، عليه السلام، علماً أنهم أبعد ما يكونون عن شرعه القويم، ونهجه السليم؛ وذلك لأنهم لم يسيروا على

هديه، ولم يقتدوا بتعاليمه، بل الذين ساروا على نهجه هم الذين اتبعوا ملته، وورثوا عقيدته، ألا وهي عقيدة الإسلام، قال تعالى: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(4)، ومألوف أن من يحب إنساناً، فإنه يسير على نهجه، ويتبع خطواته، حيث قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تذكر حبه هذا لعمري في الفعال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

لم يذكر التاريخ لنا، ولا في أي مرحلة من مراحله أن اليهود أو النصارى الذين يدعون أنهم أبناء إبراهيم الخليل عليه السلام، قد أدّوا ولو منسكاً واحداً من مناسك إبراهيم الخليل، علماً أن هذه المناسك جميعها جمعت في أكناف مكة المكرمة، وهذه حقيقة لا مراء فيها، ولو أنها جرت في موقع آخر، فلماذا كان العرب قبل الإسلام، وهم في جاهليتهم يؤدون مناسك حجهم؟ وبطريقتهم الجاهلية في هذه الديار؟ ومن أين جاءت إليهم هذه العبادة؟ وممن ورثوها؟ لقد ورثوها حقاً من إبراهيم الخليل، عليه السلام، وكانوا يؤدونها مكاءً وتصديةً، وهناك فئة ارتقت بفكرها عن عبادة الأوثان، وسمت بمعتقدها عن التلمس بالشجر أو الحيوان، ولم تجنح إلى اليهودية أو النصرانية، بل وجدت ضالتها باقتفاء أثر جد الأنبياء إبراهيم الخليل، عليه السلام، قال تعالى: {وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(5).

لم تستهدف الحنيفية ديناً جديداً كالنصرانية أو اليهودية، وإنما كانت مجرد حركة دينية دعاتها الحنفاء؛ اتباعاً لملة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، ومن أشهر المتحنفين؛ قس ابن ساعدة الإيادي، وزويد بن عمرو بن نفيل، وأمية بن الصلت، الذي حفل شعره

بالتحدث عن الله، وما يجب له من محامد، حتى قال الرسول، صلى الله عليه وسلم: (كاد أمية أن يسلم)، وسويد بن عامر المصطقلي، وأسعد بن كرب الحميري، وزهير بن أبي سلمى، وورقة بن نوفل، وغيرهم.

إذن؛ كان هناك أتباع لملة إبراهيم الخليل، عليه السلام، قبل بزوغ الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية.

وحيث إننا استعرضنا المدخل لهذه الآية الكريمة، فلا بد لنا من الطواف حولها، لنتفيأ ظلالاً وارفةً، ونجني منها ثماراً يانعة.

إن: حرف توكيد وتحقيق، وهذا توكيد صادق على ما جاء في هذه الآية الكريمة من حقائق ثابتة.

أول بيت: هذه الكلمة ظرفية، وهي مختصة بالزمان، أي إن أول بيت وضع على وجه الكرة الأرضية هو الكعبة المشرفة، حيث انزاحت المياه عن وجه هذه البسيطة، فوضع سبحانه وتعالى هذا المكان للعبادة، ولم يضعه للسكن كما هو ظاهر القول، وهو بيت الله، وبذلك فإننا نستدل على أن هذا البناء الذي وضع أولاً، يقابله بناء في السماوات العلا، ويقع هذا على سمته على وجه البسيطة، قال تعالى: {وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ* وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ} (6)، والأولية لهذا البيت مرتبط به قول الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، عندما سأله أبو ذر الغفاري، حينما قال له: (يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ؟ قَالَ: المَسْجِدُ الحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ المَسْجِدُ الأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ، ثُمَّ قَالَ: حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ، وَالأَرْضُ لكَ مَسْجِدٌ)(7).

وضع: فعل ماضٍ مبني للمجهول، وهناك فعل فاعل، والفاعل أو الواضع هو الله سبحانه

وتعالى، أي: خالق كل شيء، ولهذا فإن هذا البيت بني للعبادة منذ أن وضعه الله على وجه البسيطة، وتحت كل الظروف.

للناس: الناس هم العباد، وذكر العام، وأراد الخاص، وإن من الناس من يدخل في دين الله، وبذلك يكون قد حاز الحسنى بالدخول في ملة إبراهيم الخليل، عليه السلام.

للذي: أي الذي، وهو اسم موصول، وقد أكد بحرف اللام الذي سبقه.

ببكة: في مكة، والباء هنا حرف جر، بكة: هي مكة، وهذا أحد أسماء مكة المكرمة، ولها العديد من الأسماء، فكثرة الأسماء للمسمى تدل على عظم صاحب التسمية. ولله الأسماء الحسنى.

وسميت ببكة:

أ) لأنها تبكي إليها الإبل عندما تغذُّ إليها السير من مكان بعيد، وهذه من صفات الإبل التي تسير مسرعة نحو هدف معين.

ب) لأنها تبكُ أعناق العتاة الذين يريدون لمكة الأذى، أي: تقصمهم، كما حدث مع أبرهة الأشرم الذي حاول أن يغير الكعبة ويدكها، وينقل الحج قبل الإسلام إلى الحبشة، وهاجمها بالفيلة، حيث كان جد النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، يرعى إبله، فقالوا له: إن أبرهة قد جاء ليهدم الكعبة، فقال: هذه إبلي، وأنا ربها (صاحبها)، وللبيت رب يحميه، أي أن العرب في الجاهلية كانوا يعرفون أن هناك إلهاً لهذا البيت يحرسه. فنزل في هذا الشأن قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ* تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ}(8).

مباركاً: منصوبة على الحال، وأن البيت الحرام منشأ الوفير من البركات، ومباركاً تطلق

على المال الوفير، والخير الثابت، فماله ثبات ودوام فهو بركة، وسميت البركة بهذا الاسم، لأن البركة يجتمع فيها الماء، فيحفظ من الهدر والضياع، والصدر يسمى البرك، لأنه يحفظ العلوم والأفكار والأسرار من الضياع، ومبرك الناقة: المكان الذي تستقر فيه وتستريح وتهدأ. فالبركة اسم دال على الخير العميم الذي يواكب هذا المكان منذ الأزل إلى الأبد، وهذا ما نشاهده ونعرفه.

وهدى والهداية: يهتدى به إليه، فمكة المكرمة قد نعتها الله سبحانه وتعالى بأحسن شيئين، ألا وهما: البركة والهداية، وهي معطوفة على البركة؛ وهما من جنس واحد.

للعالمين: فجميع هذه النعم والألقاب والأوصاف الحميدة، تصب في بوتقة واحدة، وأنها موجهة إلى هذه الفئة من المخلوقات، ألا وهي العالمين، والقصد من ذلك هم الذين يطيعون الله ويعبدونه، ويقيمون الصلاة في هذا المكان المبارك، وذكر العام، وأراد الخاص، قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم الخليل، عليه السلام: {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}(9).

فيه: أي في هذا البيت، أي بيت الله العتيق.

آيات: جمع آية، وهي العلامة، وجمعها آيات، أي علامات بارزة واضحة لبني البشر الوافدين إليه.

بينات: صفة لآيات، وهي علامات واضحة ثابتة لا تزول، ولا تندرس؛ لأنها من إرادة الله سبحانه وتعالى لبني البشر على مر الزمان؛ لتبقى دلالات على قدرة الله وعظمته، وكرامة هذا البيت. والآيات البينات بمجملها تدل دلالة واضحة على قدرة الله سبحانه وتعالى،

وهي علامات صدق الأنبياء فيما يدعون له من ربوبية وعبودية.

والآيات البينات هي:

أولاً: مقام إبراهيم، فإبراهيم الخليل عليه السلام، كان أمة واحدة، ومقامه يرمز إلى وحدة العبادة بما فيه من الآيات البينات، وبهذا، فقد جمعت هذه الآية لما لها من عظم، فلم يقل: فيه آية بينة، بل جمع الأمر، وأن هذا المقام الذي في الكعبة فيه من المعجزات من موقع خالد، ومكان آثار أقدام سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، التي لان لها الصخر، فتبقى خالدة على مر الزمان، حيث لان الصخر له، وانغرست قدماه فيه، وهذا إعجاز إلهي.

يحتل مقام إبراهيم في عبادة الحاج مكانة خاصة، وله حرمة، قال تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}(10).

ثانياً: انبثاق مياه زمزم، ودوام فورانها، وانبثاق هذه المياه فيه تجليات للآيات القرآنية الكريمة، فحادثة انبثاق المياه مرتبطة بالبركة التي حصلت عندما كانت هاجر زوج سيدنا إبراهيم الخليل عليهما السلام، مع ولدها إسماعيل، عندما أسكنها جد الأنبياء في هذا المكان الذي هو غير ذي زرع، فأخذت تلوذ بالسراب عندما أعياها الماء، لتسقي وليدها الذي أخذ منه العطش مأخذه، وكاد يقضي عليه لولا إرادة الله سبحانه وتعالى الذي أوفد إليه جبريل الكريم، ففجر الأرض بين أقدام هذا الرضيع، فانبثقت منه مياه زمزم، والذي لا يشبهه ماء منذ آلاف السنين حتى قيام الساعة، لما فيه من طيب متواصل، وبركة ونقاء، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في هذا الشأن: (ماء زمزم لما شرب له)(11)، فهو يشفي من يشربه على نية الشفاء. وهذا الماء لا ينضب، وهو في أرض قاحلة تفتقر إلى الروافد والأمطار

الغزيرة، فهو آية من آيات الله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: المشعر الحرام، ومن روافد هذا الإعجاز الرباني – المشعر الحرام – أي مزدلفة، وكذلك منى وعرفات، والمشعر الحرام منطقة صحراوية، فقد جعل الله فيه آيات الإعجاز أنه مليء بالحصى، وكأنه منطقة سيول، تفتت فيها الحصى، علماً أنها منطقة جدباء.

رابعاً: رعاية الحيوان لحرمة الكعبة المشرفة. تسعى الطيور ألا تحط على سطح الكعبة المشرفة؛ كي لا تلوثها بفضلاتها، وعندما تهبط صوبها، تبتعد عنها بزاوية معينة، وهذا آية من آيات الله الكبرى.

ومن دخله كان آمناً: تتحقق في الكعبة المشرفة، وبيت الله الحرام الأمانة والأمن البشري والحيواني، فإن من يلتجئ إلى هذا المكان المبارك، يحظَ بالأمن، وإن الوحوش في الكعبة لا تعتدي على بعضها بعضاً، ولا على الحيوانات الأليفة، فالحيوانات آمنة، فما بالك بالإنسان الذي هو في أمسّ الحاجة إلى الأمن والطمأنينة، فالعبادة تحتاج إلى هدوء واستقرار، وأمن وأمان، وكل هذا متوافر في هذا المكان المبارك، قال تعالى: {الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ}(12).

كما أن الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، عندما فتح مكة أعلن أنه من دخل بيته فهو آمن، ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل الكعبة فهو آمن، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ} (13)، فهذا دعاء إبراهيم عليه السلام إلى رب العالمين، بأن يحقق الأمن في هذا البلد أي مكة. وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ}(14).

لكل ما تقدم، فإننا نصل إلى مدخل ميسور، والقصد منه الحث على أداء هذا المنسك، وما يجب على المؤمنين أداؤه ألا وهو قوله تعالى: {وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}(15).

ولله: بدأت هذه الآية بحرف الواو، وأن لله سبحانه وتعالى على الناس -ذكر العام، وأراد الخاص- وهم المؤمنون الذين يدخلون في دين الله، هذا الواجب الديني المهم والركن العظيم.

والحج لغـة: الزيارة والقصد إلى عظيم.

شرعاً: زيارة بيت الله الحرام، وأداء المناسك في أيام معينة، في أماكن محددة، اقتفاءً بالأنبياء والرسل السابقين.

البيت: بيت الله الحرام في مكة المكرمة؛ لأداء المناسك التي بيّنها لجد الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، وسار على نهجه فيها سيد الأنام، محمد عليه الصلاة والسلام، واتّبعه أبناء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؛ لأداء هذا النسك العظيم.

ترك الله سبحانه وتعالى فرجة للمؤمنين الراغبين في أداء هذا المنسك العظيم، حيث إنه يعلم حالهم، ولا يغيب عن سؤالهم، ويعرف سرهم ومكنونهم، فلربما أن منهم مَن لا يستطيع أن يؤدي هذا المنسك في حياته لأسباب خارجة عن إرادته، فقد فسح الله له المجال، وهوّن عليه، فالاستطاعة واجبة في هذا الركن، ومن لم يستطع، فأجره على الله.

والسبيل: تعني القدرة والطاقة والإمكانية والزاد والراحلة، وجعل الباب مفتوحاً أمام المسلم في هذا الشأن.

ومن كفر: أي أنكر هذا الركن، ولم يؤده إنكاراً وجحوداً وكفراً على الرغم من قدرته،

وتوافر الإمكانات لديه، فبذلك يكون قد هدم ركناً مهماً من أركان الإسلام، وقبيله في هذا الإنكار هو الردة والخروج عن الإسلام، وفي هذه الحالة؛ فإن الله سبحانه وتعالى غنيّ عنه وعن عبادته؛ لأن الله ليس بحاجة إلى الإنس أو الجان أو الملائكة، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ}(16)، فالأصل في المخلوقات العبادة لرب العباد.

الهوامش

1. آل عمران: 96 – 97.
2. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي، صلى الله عليه وسلم، بني الإسلام على خمس.
3. آل عمران: 95.
4. آل عمران: 67.
5. البقرة: 135.
6. الطور: 1 – 4.
7. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ }.
8. الفيل: 1 – 5.
9. إبراهيم: 37.
10. البقرة: 125.
11. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند بن عبد الله رضي الله عنه، قال الأرناؤوط: حديث محتمل للتحسين، وحسنه ابن القيم في (زاد المعاد)، والمنذري في (الترغيب والترهيب).
12. قريش: 4.
13. إبراهيم :35.
14. العنكبوت: 67.
15. آل عمران: 97.
16. الذاريات: 56.

قبسات من حجة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم

الشيخ محمد سعيد صلاح / مدير عام البحوث والتخطيط - دار الإفتاء الفلسطينية

الحمد لله رب العالمين، شرع لنا من الدين ما وصى به الأنبياء والمرسلين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، النبي العربي، الأمين، وعلى آله، وصحابته الطيبين الطاهرين، أمّا بعد؛

فقال تعالى: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}(1)

لقد فرض الله عز وجل الحج على المسلمين بقوله تعالى: {... وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ }(2)، وبما روي عن أبي هريرة قال: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النَّاسَ فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ الحَجَّ، فَقَالَ رَجُلٌ: فِي كُلِّ عَامٍ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ، حَتَّى أَعَادَهُ ثَلاثاً، فَقَالَ: لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ مَا قُمْتُمْ بِهَا، ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالشَّيْءِ فَخُذُوا بِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ)(3).

والحج له ميقاتان، ميقات زماني ومواقيت مكانية متعددة، أما الميقات الزماني؛ فهو في أشهر الحج، قال الله تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ

فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ}(4)، وأشهر الحج هي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة.

ولعل النبي الكريم، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أخر حجته؛ لتكون وداعاً للمسلمين، وتعليماً لهم بالركن الخامس من أركان هذا الدين، ولتستشعر الأمة قرب أجل الحبيب، صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلاَمَ دِينًا} (5)، فعندما نزلت هذه الآية القرآنية الكريمة بكى الصحابة، رضوان الله عليهم، وبكى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وكأنهم فهموا منها الإشارة إلى قرب أجل الرسول، صلى الله عليه وسلم، ولما قيل لسيدنا عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه: ما يبكيك؟ قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان.

وبعد خطبة الجمعة والصلاة في السادس والعشرين من ذي القعدة، السنة العاشرة من الهجرة، بدأ رسولنا الكريم، ونبينا العظيم، صلى الله عليه وسلم، بتجهيز نفسه ليوم غد، للحج قارناً، فتحرك يوم السبت، متوجهاً إلى ميقات أهل المدينة، ذي الحليفة(آبار علي)، حيث وصل صلى الله عليه وسلم، ومن معه قبل صلاة العصر، فصلاَّها ركعتين، وبات هناك حتى أصبح، ولمَّا أصبح قال لأصحابه: (أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: صَلِّ فِي هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ، وَقُلْ عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ)(6)، أي: أمره أن ينويَ الحج والعمرة معاً (قارناً)

الحج ثلاثة أنواع، هي:

1. قارن: تدخل العمرة في الحج، ولا يتحلل من إحرامه إلا بعد إتمام الحج.
2. مفرد: يحرم ويؤدي الحج دون عمرة.
3. متمتع: وهو الذي يؤدي العمرة أولاً، ثم يتحلل تحللاً كاملاً، ويصبح مقيماً، حكمه

حكم أهل مكة حتى يوم التروية، فيحرم، ويتلبس بأركان الحج، وتحرك صلى الله عليه وسلم، ومن معه إلى مكة، وكانت هذه الحجة الأولى والأخيرة التي أداها الحبيب، صلى الله عليه وسلم، وبصحبته مائة وأربعة عشر ألفاً من المسلمين الموحدين الملبين، الذين كانوا بالأمس أعداءً، واليوم حماة أصدقاءً، فهذه عظمة الإسلام.

ومن قبسات حجة النبي، صلى الله عليه وسلم، ما يأتي:

القبسة الأولى: حجة الإسلام

هذه الحجة سميت بحجة الإسلام، وحجة الوداع، وحجة البلاغ، وكل هذه الأسماء لأن أمة الإسلام العظيم شعرت بأن مهابة الإسلام وعظمته بهذا الجمع المؤمن الموحد، فما إن علموا بخبر تجهيز النبي، صلى الله عليه وسلم، نفسه لأداء فريضة الحج، أقبلوا من كل مكان؛ لينالوا بركة الحج بصحبة المصطفى العدنان، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وما أحوج أمتنا في هذا الزمان، وقد أصبحت تشكل ربع سكان المعمورة أن تتوحد بدلاً من تفرقها، وأن تظهر علامات التوحيد ليتبعها الناس في توحيدها.

واحسرتاه على أمة تبكي ماضيها، وتنسى حاضرها، فتكون تبعاً لغيرها، وهي القائدة، الرائدة، الموحدة، الداعية إلى الفضائل، المحاربة للرذائل، الداعية لكل خير، المحاربة لكل شر، فبالتوحيد والوحدة والإخلاص والصدق تكون أمة الإسلام، في خير أحوالها.

وحجة الوداع؛ لأن الحبيب صلى الله عليه وسلم، قائد السادة المجاهدين الغر الميامين، قال لأصحابه: (لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا)، وفعلاً هذا ما حصل.

وحجة البلاغ؛ حيث أكمل سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، بلاغ رسالة الله عز وجل، فعلّم الأمة التوحيد وسائر العبادات، ولم يبقَ إلا أن يعلمهم الحج، هذه العبادة المالية والجسدية والروحية، فما أعظمك يا رسول الله!

القبسة الثانية: ثبات الشهور والأيام في حجة الإسلام

كان العرب في الجاهلية يتلاعبون بالأيام والأشهر الحرم، كل ذلك من أجل الحرب والقتال، وفي هذه الحجة النبوية، بين عليه الصلاة والسلام، أن الزمان دار، وأن الله عز وجل بيّن الأشهر الحرم من أجل أن لا يعبث عابث بهذا الدين، قال تعالى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (7)، سبحان الله عبادات قمرية شمسية، صيام وحج وزكاة بحساب الأشهر القمرية، صلوات وإمساك بحساب أوقات شمسية، كون معمور، رب خالق، كل شيء عنده بمقدار.

القبسة الثالثة: بنو البشر سواسية

بيّن عليه الصلاة والسلام، في حجته أن التفاضل بين الناس بالتقوى، فلا علاقة للّون أو الجنس أو العمر أو أي شيء إلا بالعبادة والطاعة والقربة إلى الله تعالى، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(8)، وقال عليه الصلاة والسلام: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى)(9)، وتجلى هذا المظهر بالحجيج أثناء تأديتهم سائر العبادات، من حيث الإحرام، والصلاة، والطواف، والقيام والقعود، فما أروعك يا نبي الرحمة!

القبسة الرابعة: حرمة الدم والمال والعرض

بيّن رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، في هذه الحجة النبوية أنَّ دماء المسلمين محرمة، قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً}(10)، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ؛ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ) (11)، فزوال الدنيا أهون عند الله من قتل امرئ بغير حق.

أما المال الذي هو عصب الحياة، فقد حرم سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، الاعتداء عليه بالسرقة، أو الغش، أو التزوير، وشدد الله تعالى على الاعتداء على المال، قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (12)، وكذلك حرم النبي، صلى الله عليه وسلم، الاعتداء على أعراض الناس، فالعرض محمي؛ بحمايته نحمي الأحساب والأنساب، ونصون الأنفس، ونمنع الرذائل، قال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ المُؤْمِنِينَ}(13).

ومع جلال الموقف؛ يبيّن الحبيب حرمة الربا، ويلغي ربا أقاربه أولاً؛ ليعلم الأمة كيف تحافظ على نسيج محبتها، بعدم أخذ مال الآخرين بغير وجه حق.

كل هذه الوصايا والنبي، صلى الله عليه وسلم، في حجه؛ ليعلّم أمته دينها، لتبقى خير أمة أخرجت للناس.

القبسة الخامسة: النساء شقائق الرجال

وها هو الحبيب يرشد أمته إلى النصف الآخر من هذه الأمة ألا وهن النساء، اللواتي يعمرن بيوتنا، وينجبن أولادنا، ويحفظن أعراضنا، ويكثرن نسلنا، قال صلى الله عليه

وسلم: (... اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَداً تَكْرَهُونَهُ ...) (14)

فالمرأة هي الأم، والأخت، والبنت، والعمة، والخالة، وهي مربية الأجيال، وصائنة الأعراض، وبانية أمجاد الأمة، من جسدها غذت ابنها، وفي رحمها حوت ذريتها، فهي تستحق منا كل تقدير واحترام.

فحجة النبي، صلى الله عليه وسلم، كلها قبسات، ونعجز أن نلمّ بها في صفحات محدودة، لعلنا نتأسى بالحبيب، صلى الله عليه وسلم.

الهوامش

1. الحج: 27.
2. آل عمران: 97.
3. سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، باب وجوب الحج.
4. البقرة: 197.
5. المائدة: 3.
6. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم، العقيق واد مبارك.
7. التوبة: 37.
8. الحجرات: 13.
9. مسند أحمد، مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم.
10. النساء: 92.
11. صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم، رب مبلغ أوعى من سامع.
12. المائدة: 38.
13. النور: 2.
14. سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام.

فضائل مكة والحرم المكي

أ. لبيب طه / وزارة المالية

فضّل الله عز وجل حرمه على سائر بقاع المعمورة، وخصه بفضائل عظيمة، أكسبته ميزة لا تكون لبقعة على وجه الأرض غير هذه البقعة، إضافة إلى ما اختصه الله عز وجل من أحكام شرعية.

الحرم المكي مكان آمن

لقد جعل الله سبحانه وتعالى البيت الحرام المأوى الذي يأوي إليه قاصدوه، ويسكنون فيه، ويستريحون، حيث قال تعالى في سورة البقرة: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}(1)

يقول الله تعالى: إنه سبحانه وتعالى جعل البيت {مَثَابَةً لِّلنَّاسِ}، حيث جعل الكعبة المعظمة مرجعاً للناس، يقبلون عليه من كل جانب، {وَأَمْناً} أي مكاناً آمناً، يأمن من لجأ إليه؛ وذلك لما أودع الله في قلوب العرب من تعظيمه وإجلاله(2).

ودعاء إبراهيم، عليه السلام، بأن يرزق الله أهله من الثمرات مهم هنا، لأن الرزق من مستلزمات الأمن، لأنه ما دام هناك رزق وثمرات؛ تكون مقومات الحياة موجودة، فيبقى الناس في هذا البلد(3).

قال تعالى في سورة آل عمران: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}(4)

أعطت الآية الأمان لمن يدخل البيت الحرام، لماذا؟ لأنه بيت الرب، ولا يصح أن يدخل أحد بيت الرب، ويعاقب حتى لو كان أجرم جرماً يوجب الله عليه الحد فيه(5).

كما أن الآية {وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً} هي آية أخرى، وهي أمن من دخل الحرم بدعوة الخليل إبراهيم(6)، حين قال: {رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً}(7)

يذكر الله سبحانه وتعالى دعوة خليله إبراهيم في سورة إبراهيم، حين دعا ربه أن يحيطه بالأمن: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ}(8)

والمقصود هنا البلد الحرام، حيث دعا إبراهيم، عليه السلام، بجعله بلداً آمناً أهله وسكانه(9)، ويقول مجاهد: إن الله استجاب لإبراهيم دعوته في ولده، فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته، واستجاب الله له، فجعل هذا البلد آمناً(10).

وروي عن قتادة أنه قال بخصوص الآية السابقة: وأنه بيت طهره الله من السوء، وجعله قبلة، وجعله حَرَمه، اختاره نبي الله إبراهيم لولده(11).

هذا البيت من يُرِدْ فيه بظلم توعده رب العزة بعذاب أليم، لأن ذلك مما يتنافى مع تحريم الله للظلم، ومما يتنافى مع الأمن الذي يجب أن يسود البيت العتيق.

كما أن الله تعالى يذكر بأنه قد مكّن لأهل قريش حرماً آمناً، حرم سفك الدماء فيه، ومنعهم أن يتناولوا سكانه فيه بسوء(12)، قال تعالى في سورة القصص: {أَوَلَمْ نُمَكِّن

لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}(13)

كما تكرر التذكير بالنعمة نفسها في سورة العنكبوت، حيث إن بلد القرشيين آمن، فيما أن الناس من حولهم يغزون ويتخطفون، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ}(14)

كما أقسم الله تعالى بهذا البلد الآمن من أعدائه أن يحاربوا أهله، أويغزوهم، قال تعالى في سورة التين: {وَهَذَا البَلَدِ الأَمِينِ}(15)

كما ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً على حمايته للبيت الحرام بما فعله بأصحاب الفيل، في السورة التي حملت اسمه، حيث قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ}(16)

الحرم المكي أول المساجد

جعل الله سبحانه وتعالى الكعبة أول بيت يتعبد فيه الجنس البشري، حيث إن مكة هي مكان الطواف والكعبة، قال تعالى في سورة آل عمران: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ}(17)

وفي الحديث النبوي الشريف عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: المَسْجِدُ الحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: المَسْجِدُ الأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ، فَهُوَ مَسْجِدٌ)(18).

الحرم المكي للمؤمنين كافة

كما أن المسجد الحرام قد جعله الله للذين آمنوا كافة، {سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ} وهو المقيم به من أهله،{وَالْبَادِ} وهو الذي يأتيه من غير أهله، وهما في الحرمة سواء، رغم أن الذين

كفروا يصدون الناس عنه(19)، قال تعالى في سورة الحج: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء العَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}. (20)

حرمة الحرم المكي

يرد الحديث عن قدسية الحرم في مناجاة إبراهيم لربه، حسبما ورد في سورة إبراهيم: {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}(21)

معنى تحريم مكة يتكرر في سورة النمل، حيث يقول تعالى: {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (22)

فمكة حرمها الله على خلقه، فلا يجوز لهم أن يسفكوا فيها دماً حراماً، أو يظلموا فيها أحداً، أو أن يصاد صيدها، أو يختلى خلاها.

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: (لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ، قَامَ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهَا لَنْ تَحِلَّ لأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا لَنْ تَحِلَّ لأَحَدٍ بَعْدِي، فَلا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلا يُخْتَلى شَوْكُهَا (23)، وَلا تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا(24)، إلا لِمُنْشِدٍ(25)، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ(26)، إِمَّا أَنْ يُفْدَى، وَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: إلا الإِذْخِرَ(27) يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي قُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إلا الإِذْخِرَ، فَقَامَ أَبُو شَاهٍ؛ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اكْتُبُوا لأَبِي شَاهٍ، قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ: مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هَذِهِ الْخُطْبَةَ الَّتِي

سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). (28)

مكة لا يطؤها الدجال

عن أنس بن مالك، قال: (قَالَ رَسُولُ، اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إلا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إلا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إلا عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ صَافِّينَ، تَحْرُسُهَا، فَيَنْزِلُ بِالسِّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلاثَ رَجَفَاتٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ)(29).

مكة أحب البلاد إلى الله

عن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري، قَالَ: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاقِفًا عَلَى الحَزْوَرَةِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)(30).

الهوامش والمراجع

1. البقرة: 125 - 126.
2. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط2، ج1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1421هـ، ص 66.
3. محمد متولي الشعراوي، زبدة التفسير، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ص34 - 35.
4. آل عمران: 97.
5. محمد متولي الشعراوي، زبدة التفسير، المرجع الأخير، ص 80.
6. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ص149.
7. البقرة: 126.
8. إبراهيم: 35.
9. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج13، تفسير سورة إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 298، دون مكان أو تاريخ نشر.
10. أبو جرير محمد بن جعفر الطبري، المرجع الأخير، ص299.
11. أبو جرير محمد بن جعفر الطبري، المرجع الأخير، ص 303.

12. أبو جرير محمد بن جعفر الطبري، المرجع الأخير، ج 20، ص 115.
13. القصص: 57.
14. العنكبوت: 67.
15. التين: 3.
16. سورة الفيل.
17. آل عمران: 96.
18. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب منه.
19. أبو جرير محمد بن جعفر الطبري، المرجع الأخير، ج 17، ص 179 - 181.
20. الحج: 25.
21. إبراهيم:37.
22. النمل: 91.
23. يختلى: يؤخذ ويقطع، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: 1 / 308.
24. الساقطة هو ما سقط فيها بغفلة مالكه، شرح النووي على مسلم: 2 / 988.
25. المنشد هو المعرّف. المرجع السابق: 2 / 988.
26. أي أن لولي القتيل أن يختار القصاص أو الدية، منحة العلام في شرح بلوغ المرام: 1 / 183.
27. نبات عشبي من فصيلة النجيليات، له رائحة ليمونية عطرة، أزهاره تستعمل منقوعه كالشاي، ويقال له أيضاً: طيب العرب. والأذخر المكي من الفصيلة نفسها، جذوره من الأفاوية، ينبت في السهول، وفي المواضع الجافة الحارة، ويقال له أيضاً: حلفاء مكة، شرح الحديث في صحيح مسلم.
28. صحيح مسلم، كِتَاب الْحَجِّ، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقتطها إلا لمنشد على الدوام.
29. صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة.
30. سنن الترمذي ، كتاب المناقب عن رسول الله، باب فضل مكة.

ملف العدد

وثيقة عرفة التاريخية وحقوق الإنسان

الدكتور شفيق عياش

يقول سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً}(1) .

لقد تكفل الله سبحانه وتعالى ببيان كل ما يفيد الإنسانية جمعاء، ويهدي الحائرين التائهين، ويرشد السائلين، حيث يقول سبحانه: {قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} (2)

فلم يترك الناس يتخبطون في الظلام، ومحمد، صلى الله عليه وسلم، صاحب الرسالة العظيمة، الذي أرسله سبحانه وتعالى بها رحمة للعالمين، شاملة صالحة لكل زمان ومكان، حيث رسمت بملامحها الكريمة وتعاليمها السمحة أساس الحياة الكريمة في ظل إيمان بالله سبحانه قوي لا يتزعزع، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (3).

والآية الكريمة التي ذكرت، وبدأ بها هذا المقال، تعني في المقام الأول أن أحكام الدين وفرائضه قد كملت، وأصبح الحلال بيناً، والحرام بيناً، وأتم الله سبحانه وتعالى نعمته على المسلمين بدينه القويم، وكانوا خير أمة أخرجت للناس، لم ينزل بعد ذلك شيء من التشريع.

ولا بد أن نسجل هنا كلمات من نور، وهو أن وثيقة مؤتمر عرفة التاريخية التي أرسى

دعائمها الرسول، صلى الله عليه وسلم، قد حققت كل هذه المبادئ، وأرست جذورها في المجتمع المسلم، فكان النجاح والصلاح والفلاح، وكانت الفتوحات الإسلامية الهادفة إلى تأمين الإنسان من شر الفقر والمرض والعوز.

وهذا المؤتمر الكبير؛ المؤتمر الأول في التاريخ، مؤتمر عرفة على عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم، وفي آخر أيامه «حجة الوداع» الذي أُذيعت فيه القيم والمبادئ العليا التي تعدَّ بما لا يدع مجالاً للشك؛ «وثيقة تاريخية» تقرر حقوق الإنسان، وترعى شؤونه، وتعترف بمكانته في الحياة، ولم يسبقه في ذلك مؤتمرات، أو أي لجان تابعة لمنظمات دولية.

وإن اللجان التي تنبثق حالياً عن المنظمات الدولية المختلفة المسماة باسم أو تحت اسم «لجان حقوق الإنسان» هي في الواقع وإن اختلفت صورها صورة مصغرة من تلك الوثيقة التاريخية، إن كانت تنص حقاً على حقوق الإنسان الذي في ظلها أهدرت كرامته، وديست بالأقدام إنسانيته في مجتمعات كثيرة، متناسين أن وثيقة عرفة التاريخية سبقت هذه اللجان المعاصرة بقرون طويلة، كانت قد كفلت كل الحقوق المشروعة للإنسان، وأرست دعائمها هذه المبادئ التي لا تقف عند حد معين، وتجاوزت بعد ذلك حدودها القومية والجنسية، ولن تجد -مهما وضع الإنسان في الشرق أو الغرب- مبادئ أعمق أثراً في إصلاح البشرية جمعاء، كهذه المبادئ والقيم التي وضعها وثبت دعائمها مؤتمر عرفة التاريخي، الذي له سمة خاصة، وطابع خاص، إذ أعلى فيه الرسول، صلى الله عليه وسلم، مبادئ وقواعد تعد دستوراً إنسانياً يصلح لكل زمان ومكان، وإذا كانت مواد أي قانون تتطلب تعديلاً لتكون متضمنة لمتطلبات العصر، فإن هذا المؤتمر وما اشتمل عليه من مواد تشريعية هي جديدة إلى اليوم، من يوم أن قيلت لا تعديل ولا تبديل إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

يقول النبي، صلى الله عليه وسلم، في هذا المؤتمر:

(فإن دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ

هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، فَأَعَادَهَا مِرَاراً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فقال: اللهم هل بَلَّغْتُ اللهم هل بَلَّغْتُ)(4).

وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: (أيها الناس؛ إنما المؤمنون أخوة، فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي؛ كتاب الله، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد)(5).

فهذه بعض الحقوق التي أقرها الإسلام، ونزل بها القرآن، وبلغها محمد، صلى الله عليه وسلم، نبي الإسلام ورسول السلام، فإنه لمن دواعي الإسلام أن يتذكر كل مسلم عندما يذكر حجة الوداع أنه يجب أن يكون هناك تطبيق شامل لحقوق الإنسان التي ضاعت في مناطق كثيرة من هذا العالم الواسع المترامي الأطراف، وأن التطبيق ليس بالأمر الصعب أو المخيف، فالقرآن الكريم، وسنة رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم، متضمنة لكيفية المنهج السليم، الذي يكفل للإنسان حقوقه وأمنه واستقراره.

فإننا ندعو الله سبحانه وتعالى مخلصين أن يهبنا الحكمة والعقل الراجح، والمنطق السليم، لنتعقل ونتدبر، فنسير في فضائل المؤتمر الإسلامي الأول ومبادئه، التي أرسى دعائمها الرسول، محمد صلى الله عليه وسلم، في مؤتمر عرفة (مؤتمر حجة الوداع).

أعزنا الله سبحانه وتعالى بنصر من عنده، إنه نعم المولى ونعم النصير، حيث قال سبحانه: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (6).

الهوامش

1. المائدة: 3.
2. يوسف: 108.
3. الأنبياء: 107.
4. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى.
5. نور اليقين للخضري، 1/ 217.
6. الحج: 40.

حكم سفر المعتدة من وفاة لأداء فريضة الحج

أ.د حسن عبدالرحمن السلوادي / عضو مجلس الإفتاء الأعلى

ربما يكون من أيسر الأمور على المرء حين يتصدى للإجابة عن هذا السؤال أن يقتفي أثر الجمهور، ويحذو حذو كثير من العلماء الأجلاء الذين تصدَّوا له، وأجابوا عنه غير مجيزين للمرأة المعتدة من وفاة بالسفر، أو الخروج من بيتها إلا في حال الضرورة، حتى لو كان السفر لحج أو لعمرة، مستدلين على ذلك بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}. (1)

والحجج التي يسوقها أولئك العلماء غالباً لتسويغ منعها من السفر، هي: عدم استطاعة الزوجة شرعاً، ففي مذهب أبي حنيفة: (أن من الاستطاعة أن يكون معها زوجها، أو محرم لها من النسب، أو المصاهرة، أو من الرضاع، إذا كان بينها وبين مكة سفر ثلاثة أيام فأكثر). (2)، ويحتجون كذلك بأن عدة المرأة في بيتها تفوت، ولا بدل لها، ولكن الحج يمكن الإتيان به في غير هذا العام. (3)

على أن التروّي في بحث المسألة، ودراستها وتمحيصها من جوانبها كافة، ربما يفتح فرجة من التيسير والتسهيل والتوسط، بعيداً عن التضييق والتعسير والمغالاة، فمع إجلالنا وإكبارنا لما ذهب إليه بعض أئمتنا وعلمائنا من مذاهب وآراء، هي بنت العصر

الذي عاشوا فيه، فإن ثمة مستجدات طرأت في هذا العصر، تحتم علينا معاودة النظر في المسألة، دون حيدة عما قرره الشرع، أو خروج عن النصوص الثابتة من القرآن الكريم والسنة النبوية. ويقتضي ذلك مناقشة الحِكَم المتوخاة من العدة نفسها أولاً، ومن ثم دراسة الأدلة التي استند إليها المانعون لحج المرأة المعتدة من وفاة، وموازنتها بأدلة المجيزين، ومحاولة الترجيح بينهما.

وفيما يتعلق بالحكمة من وراء عدة الوفاة، فقد تباينت الآراء حولها. وقد صرَّح ابن القيم في زاد المعاد بذلك، حين قال: (وقد اضطرب الناس في حكمة عدة الوفاة، فقيل هي لبراءة الرحم) (4)؛ أي: التأكد من انتفاء الحمل؛ لأن الجنين يتكون في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم أربعين يوماً علقة، ثم أربعين يوماً مضغة -كما دل عليه الحديث الصحيح- (فهذه مائة وعشرون يوماً، ثم تُنفخ فيه الروح بعد هذه المدة، وقد زيدت العشر لذلك) (5)، ومع ذلك؛ فإن براءة الرحم قد تتحقَّق دون إتمام هذه الفترة، يقول ابن القيم مستدركاً: (ومعلوم أن العدة ثلاثة قروء، وبراءة الرحم يكفي فيها حيضة كما في المستبرأة) (6).

ومن الناس من يقول: إن العدة أمر تعبدي لايُعقل معناه، وهذا -في رأي ابن القيم- فاسد، (فليس في الشريعة حُكم إلا وله حكمة، وإن لم يعقلها كثير من الناس)(7).

وذهب كثيرون إلى أن العدة، وما يقترن بها من إحداد على الزوج، تنطوي على لمسة تقدير، واحترام لرابطة الزوجية وعقدها الوثيق الذي هو أقدس رباط، كما أن فيها تعبيراً صادقاً عن وفاء الزوجة لزوجها، ومراعاةً لمشاعر أهله، وإظهاراً للحزن على فراقه، كما أنها تتيح للمعتدة فسحة زمانية كافية بين نكاح الأول، وبين نكاح الثاني، كيما لا يتصل الناكحان (8)، ولهذا يتوجب على المعتدة في فترة الحداد أن تمتنع عن التطيب، والزينة، ولبس الحلي، والملون، والمصبوغ من الثياب، والخضاب، والكحل، والتعرض

للخطاب، والامتناع عن البيتوتة في غير منزل الزوجية(9).

أما عن استبراء الرحم، فإضافة إلى ما ذكره ابن القيم من أن الاستبراء لا تلزمه المدة المحددة للعدة، وهي أربعة أشهر وعشراً، فإن حال المرأة اليوم يؤكد قوله، بل يزيد عليه، ذلك أن المرأة لم تعد بحاجة إلى هذه الفترة الطويلة لتثبت أنها حامل، فالأمر برمته لا يحتاج إلا لدقائق معدودة لإثبات الحمل أو نفيه، وبالتالي؛ فإن الخوف الذي كان يساور الفقهاء والمفسرين قديماً، وخشيتهم من اختلاط المياه والأنساب، لا مسوغ له اليوم بعد أن بلغ التطور العلمي شأواً بعيداً، كان له تأثير حاسم في حياة البشر (10). وهذا فضلاً عن أن الاستبراء الذي يعد الهدف الأكبر عند أولئك الفقهاء يتحقق في أي مكان تعتد به المرأة، وليس شرطاً أن يكون له مكان محدد ومخصوص بعينه.

وأما الإحداد باستبقاء الحزن، وعدم تعجل المعتدة بالزواج، أو تهافتها عليه بالتعرض للخطاب، وإظهار زينتها لهم، مع ما ينطوي عليه ذلك من إساءة بالغة لأهل الزوج المتوفى -كما قال صاحب المنار- (11)، فهو -في الحقيقة- لا يتعارض مع سفر المعتدة إلى الحج من جهة، ويتناقض من جهة ثانية مع ما قرره القرآن الكريم والسنة النبوية من أن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها تنتهي بوضعها لحملها، قال تعالى: {وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} (12)، وأن بإمكانها أن تتزوج دون انتظار المدة المحددة للعدة، حتى إن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أحلَّها للزواج متى وضعت، وزوجها المتوفى على سريره لم يدفن بعد، فلو كانت عدة غير الحامل بقصد استبقاء الحزن واستشعاره لاستوتا في العدة. والحديث النبوي الوارد في سُبيْعة الأسلمية دليل على ذلك، إذ يروى أنها حلت بعد نصف شهر فقط على وفاة زوجها، حيث قال لها الرسول، صلى الله عليه وسلم، حين استشارته في أمر زواجها: (قَدْ حَلَلْتِ فَانْكِحِي مَنْ شِئْتِ). (13)

وإذا ما تأملنا أدلة المانعين والمجيزين وحججهم إزاء هذه المسألة، فإن ثمة أموراً عدة تبرز

أمام ناظرينا، وأبرزها:

1. إن مسألة عدم الاستطاعة الشرعية التي يركز عليها الحنفية، وقولهم إنه لا بدَّ أن يكون مع المرأة زوج أو محرم، ليست محل إجماع بين الفقهاء وأئمة المذاهب، فالمالكية مثلاً لا يعتدُّون بهذا القيد، ويجيزون السفر لأداء فريضة الحج إذا وجدت المرأة رفقة مأمونة، منهم جمع من النساء موثوق بهن (14). وذهب الشافعية إلى أبعد من ذلك حين صرَّح فقهاؤهم أن للمرأة أن تخرج مع امرأة واحدة، أو حتى وحدها عند الأمن في حج الفريضة، أما في حج النفل فليس لها ذلك؛ لأنه سفر غير واجب (15).

2. إن الآية الكريمة التي يستدل بها المانعون وهي قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(16). تشير إلى واجب المعتدات في وفاة أزواجهن، وما ينبغي أن يقمن به وهو الاعتداد لفترة محددة، وليس في الآية أدنى إشارة إلى ملازمة البيت، أو عدم الخروج منه. واللفظ {يَتَرَبَّصْنَ}، وكذلك {بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}، دليل واضح على ذلك، فالتَّربص إنما يدل على الزمان الذي تمكثه المرأة المعتدة، لا المكان الذي تعتد فيه. قال عطاء موضحاً ذلك: (إن شاءت اعتدت عند أهله، وإن شاءت خرجت)، لقوله تعالى: {فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ} (17)، وأردف عطاء قائلاً: (ثم جاء الميراث فنسخ السكنى، فتعتد حيث شاءت، ولا سكنى لها)(18)

وروي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب، فقد جاء في كتاب الأم للشافعي: أن علياً، رضي الله عنه، كان يرحِّل المتوفى عنها، لا ينتظر بها، وروي عن الشعبي قوله: (نَقَلَ علي، رضي الله عنه، أم كلثوم بعد قتل عمر بسبع ليال، وروي كذلك عن ابن عباس، وجابر بن عبدالله، والسيدة عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنهم أجمعين، وبه قال أيضاً

داود وطاووس، والحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، ومن الفقهاء ابن حزم رحمهم الله جميعاً). (19)

وعلى ما يبدو؛ فإن رؤية هذا الفريق بُنيت على قاعدة أصولية مرتكزها التأويل، حيث أولوا حكمهم في عدم وجوب اعتداد المرأة المتوفى عنها زوجها في بيت زوجها بأنه سدٌّ للذرائع، وغلق لأبواب الشجار والخلاف؛ لأن بيت الزوجية إما أن يكون مكترى، وإما أن يكون ملكاً، فإذا كان مكترى، بطل العقد بموته، وإن كان ملكاً، فقد صار للورثة فيه نصيب، فلا يحل لها مال الآخرين.

3. ومن البند السابق يتضح أن الإجماع غير منعقد حول هذه المسألة، فالجمهور مع عدم سفر المعتدة، حتى وإن كان سفرها لحج أو لعمرة، ودليلهم في ذلك حديث فريعة ابنة مالك أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (امْكُثِي فِي بَيْتِكِ حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ)(20)، في حين يرى آخرون، وعلى رأسهم السيدة عائشة، رضي الله عنها، أن الأمر جائز لعدم وجود الدليل المانع أو المخصص له، وقد استدل أصحاب الرأي الثاني بما روي عن عروة، حيث قال: خرجت عائشة، رضي الله عنها، بأختها أم كلثوم حين قتل عنها طلحة بن عبدالله إلى مكة في عمرة (21)، وما روي عن ابن عباس (أنه كان لا يرى بأساً للمطلقات ثلاثاً والمتوفى عنهن أزواجهن أن يحججن في عدتهن).(22)

4. على أن الجميع متفقون على أن عدة المرأة المتوفى عنها زوجها في منزل الزوجية لا يعني حبسها فيه، أو عدم خروجها منه البتة، وإنما يجيزون لها الخروج لقضاء حوائجها الأصلية كالتداوي، وزيارة أهلها وذويها، أو للعمل والاكتساب، كما يجوز للموظفة أن تمارس عملها، وللطالبة أن تذهب إلى مدرستها أو جامعتها، بل إن خروجها لغير حاجة لا يبطل عدتها، وقد صرح شيخ الإسلام ابن تيمية بذلك في أحد فتاويه، حين قال: (إن خروج المرأة من غير ضرورة، ومبيتها في غير منزلها لا يبطل عدتها، ولا يستدعي إعادتها،

وإنما يتوجب عليها الاستغفار والتوبة إلى الله). (23)

وإذا كان مسموحاً للمرأة أن تخرج من بيتها في فترة العدة بحكم الضرورة، فإن ذلك يسلمنا إلى القول بأن سفرها لأداء حجة الفريضة إن واتتها الفرصة، وكانت مضطرة لذلك، هو أمر جائز، ولا حرمة فيه بحكم الضرورة أيضاً، وربما كان هذا مدخلاً للجمع بين الآثار المتعارضة في المسألة، وذلك بحمل المنع الوارد في بعض الآثار من السفر دون حاجة تدعو إليه، وحمل الجواز على السفر لحاجة وضرورة ومصلحة، والجمع بين الأدلة أولى من إعمال أحدها وإهمال الآخر(24).

ومعلوم أن الحج في أيامنا هذه يخضع لسلسلة طويلة من التقنين والتقييد والتنظيم والتحديد، فمن واتته فرصة الحج، فربما لا تواتيه مرة أخرى، كما أن الحج والعدة كليهما فريضتان مستويتان في الوجوب، وضيق الوقت، ولكن الحج آكد، لأنه أحد أركان الإسلام، والمشقة بتفويته أعظم؛ لأن المعتدة ربما تخسر ما دفعته من رسوم، وربما تفوت عليها فرصة الحج لمحدودية العدد الذي يقبل سنوياً -كما ألمحنا من قبل- ومن هنا أفتى بعض العلماء بصحة حج المرأة في عدتها (25)، وقالوا: إنه لا حرج عليها في ذلك ما دام الأمر قد يتعلق بالضرورة، فالواجب لا يترك إلا لواجب -كما قال الفقهاء- فإذا ما توافرت للمرأة عناصر الاستطاعة، وكان حجها لأول مرة وليس مندوباً، وكانت قد سجلت للحج قبل وفاة زوجها، فلا ضير من خروجها للحج قبل انتهاء عدتها؛ لأن حجها لا يتعارض مع المقصد الرئيس من العدة وهو الإحداد، وإظهار الوفاء للزوج من جهة، وتوافر إمكانية إكمالها فترة العدة المطلوبة منها بعد أدائها فريضة الحج، وعودتها إلى منزلها من جهة ثانية.

والله تعالى أعلى وأعلم

الهوامش

1. البقرة: 234.
2. الاختيار شرح المختار، ط البابي الحلبي 1355هـ/ 1836م، 1 /138 – 140، وانظر ابن عيثمين، مجموع الفتاوى، 31/68.
3. ابن قدامة المقدسي، المغني، 8/ 168، وانظر الموسوعة الفقهية، 17 /38، 29 /352.
4. ابن القيم، زاد المعاد، 2 /589.
5. الصابوني، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن، 1/ 257.
6. ابن القيم، زاد المعاد، 2/ 589.
7. المصدر نفسه والصفحة نفسها.
8. المصدر نفسه والصفحة نفسها.
9. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 3/ 126، وانظر، ابن كثير، التفسير، 1/ 286.
10. د. منجية السوايحي، هل العدة في الإسلام حبس المرأة، www.webcache.googleusercontent.com
11. تفسير المنار، 419.
12. الطلاق: 4.
13. سنن النسائي، كتاب الطلاق، باب عدة الحامل المتوفى عنها زوجها.
14. ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 2/ 189.
15. النووي، المجموع شرح المهذب للشيرازي، 7/ 76 – 77.
16. البقرة: 234.
17. البقرة: 240.
18. الجصَّاص، أحكام القرآن، 1/ 418.
19. المصدر نفسه، 1/ 418 – 419 ، وانظر الشافعي، كتاب الأم، 7/ 172.
20. سنن الترمذي، كتاب الطلاق واللعان عن رسول الله، باب ما جاء أين تعتد المتوفى عنها زوجها.
21. مصنف عبد الرزاق، كتاب الطلاق، باب أين تعتد المتوفى عنها، والطحاوي في شرح معاني الآثار، 3 /81.
22. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 3 /117، وانظر: ابن قدامة، المغني 8/ 168.
23. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 34 /38.
24. ابن حجر، فتح الباري، 9/ 474.
25. انظر: ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الطلاق، باب من رخص للمطلقة أن تحج في عدتها **4 / 130**، وانظر فتوى الشيخ محمد عبد الرحمن وكيل وزارة الأوقاف المصرية، والشيخ خالد عبدالله المصلح، www.almoslem.com.

وعظ وإرشاد

حذارِ من الغفلة!!

أ. كمال بواطنه
وزارة التربية والتعليم - رام الله

تكشف لنا سورة الأنبياء في مطلعها عن مرض خطير يصيب القلوب، ذلكم هو الغفلة، قال تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ* لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ}(1)، والغفلة داء خطير، تجد من يصاب به مشغولاً بالدنيا، ذاهلاً عن الآخرة، وتجده مشغولاً بجمع المال، وزيادة الأرصدة، غافلاً عن الحساب، وتجده مشغولاً ببناء القصور غير مفكّر بالقبور، وتجده في حمأة انشغاله بخدمة المخلوقين ينسى الخالق، وتجده غارقاً في الذنوب، غافلاً عن التوبة والإنابة، وتجده مشغولاً بعيوب غيره، وذاهلاً عن عيوب نفسه.

من صفات المؤمن أنّه يقظ دائماً، موقظ لغيره دوماً، إن غفل الناس لا يغفل، يتذكّر ويُذكّر، يتعظ ويعظ، وهو على دراية بأنّ الشيطان لا يكفّ عن الإغواء، ولا ييأس من إضلال ابن آدم، دلّ على ذلك قوله تعالى: {ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}(2)، والشيطان يخنس ما دام الإنسان يذكر ربّه، ويسير في ركابه، فإذا تنكّب الطريق تبعه الشيطان فوراً، قال تعالى:

{وَاتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ}(3) دلّ على ذلك حرف العطف(الفاء) الذي يدلّ على الترتيب والتعقيب في قوله سبحانه: {فَأَتْبَعَهُ}.

كثير من الناس اليوم مصابون بداء الغفلة، ومن مظاهر غفلتهم؛ عدم اغتنام مواسم النفحات والطاعات، كشهر رمضان، وأيام العشر من ذي الحجة، ويوم الجمعة، وهذه المواسم قد تمرّ على بعض الناس دون أن يحصّل الواحد منهم فيها حسنة، بل قد تزداد أوزاره بإقباله على التزود من المعاصي!!

ومن مظاهر الغفلة؛ عدم ذكر الموت، أو عدم الإكثار من ذكره، وكثير من الناس يتعاملون مع حقيقة الموت كأنّها خيال، أو كأنّ الموت كتب على الخلائق جميعها، ولم يكتب عليهم، ومن العجيب أنّ الناس كلما اقتربوا من القبور، زاد عندهم الفتور، وكأن العمر سيبدأ من جديد، وهذه غفلة قاتلة؛ ذلك أنّ كلّ يوم يمرّ يقرّب من المنية، وإذا كان العمر في إدبار، والموت في إقبال، فما أسرع الملتقى!!

يا ساهياً يتهادى ... في غيّه يتمادى

لا يستجيب لنصح ... إن زاد أو إن عادا

إنّي عليك شفوقٌ ... أبغي إليك رشادا

فما دهاك أجبني ... لمّا عليك يُنادى

إن كنت فحلاً بحقٍّ ... فلنلقَ منك عنادا

قد قالها قبلُ ناسٌ ... فما أصابوا مُرادا

دنياك يا صاحِ وَهْمٌ ... قد غررت أعدادا

ظنّوا الحياة بقاءً ... عاشوا غِلاظاً شدادا

فكم قصورٍ أقاموا وشيّدوا أطـــوادا

وأشعلوهـــا حروباً وجنّدوا أجنـــادا

أتاهم البأسُ صَحْواً أو قد أتـــاهم رُقادا

سقاهم الموتُ كأساً جاؤوا الإله فُرادى (كمال بواطنة)

ومن مظاهر الغفلة؛ عدم اغتنام فترة الشباب، وهي فترة العطاء، وفترة القوّة، وقليلون هم الذين يستغلونها في الطاعة، وكثيراً ما ينخدع الشابّ بشبابه، فينهمك في اللذة الحرام، يعبّ منها عبّاً، ويغفل عن أن فترة الشباب سرعان ما تنقضي، وعندئذ يستيقظ من سكرته، ويحاول أن يستدرك ما فات، وهيهات أن يدرك من كان مشمّراً في شبابه!!

ومن دلائل الغفلة؛ أنّ الله عزّ وجلّ، امتنّ على كثير من الناس بعقول وحواس سليمة، غير معطلة، وهذا ما أثبته القرآن الكريم في أكثر من آية، قال تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}(4)، وليت شعري، ما الفائدة من قلب لا يفقه الحقّ، وعين لا تبصره، وأذن لا تسمعه؟! أليس صاحبها غافلاً، أضلّ من الأنعام؟!

ومن علامات الغفلة؛ عدم ذكر الله، والقلب الذي يغفل عن ذكر الله يقسو، والمسلم مأمور بأن يذكر ربّه، قال تعالى: {وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ}(5)، وفي الآية قبل الأخيرة من سورة الأعراف يأمر الله سبحانه بالذكر، حيث قال: {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ}(6)، ولا ريب أنّ اللسان الذاكر، والقلب الذاكر يقظان، ومن صور عدم توفيق الله للعبد أن تمرّ عليه ساعات، بل أيام، وربّما شهور وأعوام لا يذكر الله فيها!! قال ابن القيم، رحمه الله: (على

قدر غفلة العبد عن الذكر يكون بعده عن الله)، وقال: (إن الغافل بينه وبين الله وحشة، لا تزول إلا بالذكر). ومما يلفت النظر أنّ الله عزّ وجلّ أمر حجاج بيت الله الحرام أن يكثروا من الذكر بعد إنهاء المناسك، وفي ذلك دلالات بالغة، والحجّاج في العادة يفتر عندهم الذكر بعد إنهاء المناسك، قال تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً}(7).

ومن صور الغفلة؛ ما يعمد إليه كثير من الناس من مجالسة الفاسقين، الذين لا يذكرون الله، ولا يتواصون بحقّ ولا صبر، وإنّما تراهم سادرين في غفلتهم، يتواصون بالشرّ، وقولهم كلّه فحش، ومثل هؤلاء كما عرفنا من سنة نبيّنا محمد، صلى الله عليه وسلم، كمن اجتمعوا على جيفة حمار، ومجلسهم كان عليهم حسرة، يقول الله عزّ وجلّ حاثّاً على مجالسة الصالحين: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً}(8).

ومن مظاهر الغفلة عدم قيام الليل، وفي هدأة الليل، وفي ساعات السحر تصفو النفس، وتناجي المولى بحضور القلب، وهناك فرق بين من يظلّ نائماً، وبين الهارب من النار، الطالب للجنة، الذي قليلاً ما يهجع، قال تعالى: {كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}(9)، حتى إن نام فهو كالأنبياء؛ تنام عيونهم، ولا تنام قلوبهم.

ومن أمارات الغفلة؛ هجر مأدبة الله، القرآن الكريم، وهو كلام الله الفصل، الذي ليس فيه هزل، الذي ينير البصر والبصيرة، ومن الناس من تمرّ عليه أعوام يهجر القرآن، وفي الحديث: (مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنْ

الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنْ الْمُقَنْطِرِينَ)(10).

ومن صور الغفلة؛ هجر المساجد، وبخاصة صلاة الجمعة، وفي الحديث: (لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمْ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنْ الغَافِلِينَ)(11).

ومما يلاحظ أنّ مساجد كثيرة، بنيت وزوّدت بكلّ المرافق والتجهيزات التي تيسّر على المصلين، ولكنّها تشكو إلى الله قلّة المصلين.

ومن مظاهر الغفلة؛ عدم حضور القلب وقت الدعاء، وكثيراً ما يقول الناس: ندعو فلا يستجاب لنا، ومن أسباب ذلك: غفلة القلب عند الدعاء، وهذا ما بيّنه النبيّ، صلى الله عليه وسلّم، في قوله: (... إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ)(12).

فحذار حذار، أخي المسلم، من الغفلة، وما أكثر مظاهرها في حياتنا؛ فهي السبيل المؤدّي إلى الثبور!!

الهوامش

1. الأنبياء: 1 - 3.
2. الأعراف: 17.
3. الأعراف: 175.
4. الأعراف: 179.
5. الكهف: 24.
6. الأعراف: 205.
7. البقرة: 200.
8. الكهف: 28.
9. الذاريات: 17 - 18.
10. سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن.
11. صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة.
12. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص.

قال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:43)

أنت تسأل والمفتي يجيب

دار الإفتاء الفلسطينية

1. شروط وجوب الحج على المسلم

السؤال: ما شروط فرض الحج؟

الجواب: هي الشروط التي يجب توافرها في المسلم حتى يكون مطالباً بالحج، فإذا فقد أحدها لم يجب عليه، وهي متفق عليها بين العلماء، قال ابن قدامة: (وجملة ذلك أن الحج إنما يجب بخمس شرائط: الإسلام، والعقل، والبلوغ، والحرية، والاستطاعة، لا نعلم في هذا كله اختلافاً) (1)

- الإسلام.

- العقل والبلوغ، لما رواه علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ؛ عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ) (2)، وإذا حج الصبي صح حجه، فإذا بلغ، فعليه حجة الإسلام، والمجنون لا يصح حجه إلا أن يعقل.

- الاستطاعة، لقوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}(3) (4) والاستطاعة بدنية ومالية.

2. حكم أداء الحج من مال حرام

السؤال: ما حكم أداء الحج بمال حرام؟

الجواب: لا يجوز للمسلم أن يحج بمال حرام، ومن أهم ما ينبغي الاعتناء به، أن تكون نفقة الحج حلالاً؛ إذ إن النفقة الحرام تحرم الحاج جزاء الحج المبرور.

وللعلماء في الحج بمال حرام قولان:

الأول: إنّ الحج صحيح، ويأثم الحاج للإنفاق من مال حرام، وهو مذهب جمهور العلماء، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي.

والثاني: إنّ الحج باطل لا يصح، وهو الأظهر من مذهب الحنابلة.

والواجب على من صار إليه مال حرام أن يتعجل في التخلص منه، ورده إلى أصحابه، فإن لم يعرف أصحابه أخرجه لفقراء المسلمين، وإعادة المال إلى أهله من شروط التوبة من الكسب الحرام، ولأن الحج من أعظم القربات، فلا بد فيه من نفقة طيبة حلال، بل من أطيب الكسب وأحله، قال تعالى: {وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} (5)، وقال: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (6).

وعليه؛ فإن الحج من مال حرام لا يقع مقبولاً عند الله، وهو إما باطل لا يجزئه، كأنه لم يحج عند بعض العلماء، أو أنه لا أجر له عليه، وهو غير مبرور، ويبعد قبوله.

3. شروط جواز أداء المسلم فريضة الحج عن غيره

السؤال: هل الحج عن الآخر مشروع؟

الجواب: يحدث أن يجب الحج على مسلم، ويؤخره لانشغاله بعمل، أو يتأخر لعدم خروج اسمه في قرعة الحج، وقد يمرض مرضاً مزمناً يحول دون أدائه الحج بنفسه، وقد يموت، فمن عجز عن أداء الحج بنفسه، واجتمعت له شروط وجوب الحج من الإسلام والعقل والبلوغ والاستطاعة المالية، فإنه يجب عليه أن ينيب غيره، وإن لم يحصل،

فعليه أن يوصي بالحج، قال بهذا الصاحبان أبو يوسف ومحمد من الحنفية، والشافعية، والحنابلة، ومنع مالك الاستنابة في الفرض، وكرهها في النافلة (7).

ودليل جواز الحج عن الآخرين: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قَالَ: (كَانَ الْفَضْلُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ، صلى الله عليه وسلم، يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخاً كَبِيراً، لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ) (8).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما (أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ؛ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللَّهَ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ) (9)

وأفضل الحج عن الآخرين أن يكون عن الوالدين، إذا كانا ميتين أو عاجزين، ويبدأ بالأم ثم بالأب، لعموم الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قال: (جاء رَجُلٌ إلى رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، من أَحَقُّ الناس بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: أُمُّكَ، قال: ثُمَّ من، قال: ثُمَّ أُمُّكَ، قال: ثُمَّ من، قال: ثُمَّ أُمُّكَ، قال: ثُمَّ من، قال: ثُمَّ أَبُوكَ).(10)

هذا ويجوز حج الرجل عن المرأة، والمرأة عن الرجل، باتفاق العلماء، وبحسب ما دلت عليه النصوص، كما اتفق العلماء على أن العاجز عن الحج إن حج بنفسه، صح حجه وأجزأه.

4. جواز أخذ أجرة أداء فريضة الحج عن غيره

السؤال: هل يجوز للحاج عن الآخر أخذ أجرة؟

الجواب: في الاستئجار على الحج والقربات قولان للعلماء:

القول الأول: لا يجوز، وهو مذهب أبي حنيفة وإسحاق ورواية عن أحمد.

والقول الثاني: يجوز، وهو مذهب مالك والشافعي وابن المنذر، والرواية الثانية عن أحمد، وتنطبق عليه أحكام الإجارة، لكن على القول الأول له أن يأخذ نفقة الطريق.

وفي فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ورد أن حقيقة الأمر في أخذ النائب النفقة أنه يستحب له ذلك، إذا كان مقصوده أحد شيئين: الإحسان إلى المحجوج عنه، أو نفس الحج لنفسه.

أما الإحسان إلى المحجوج عنه؛ فلأن ذمته متعلقة بالحج، فالحج عنه إبراء لذمته، وإحسان إليه، وقد عدَّ النبي، صلى الله عليه وسلم، الحج ديناً يجب الوفاء به، وحتى في حج النافلة فإنه عمل صالح يصل إلى الميت، وإحسان إليه، فيجوز له أن يأخذ من النفقة ما يستعين به على أداء الحج.

أما من يريد الحج عن نفسه، وهو مشتاق إلى المشاعر، لكنه عاجز لا يملك نفقة، فيُعطى من المال ما يستعين به على أداء الحج، فيكون له أجر الحاج ببدنه، وللمنفق أجر الحج بماله، كما يجوز لو أعطاه مالاً ليحج عن قريب له أو نحوه.

أما إذا كان قصده الاكتساب بالمال، فهذا لا يستحب، وإن قيل بجوازه؛ لأن العمل ابتغاء الدنيا فحسب، ليس بعمل صالح في نفسه، إذا لم يقصد به إلا المال، ومن أراد الدنيا بعمل الآخرة، فليس له في الآخرة من خلاق.

وبالتالي هناك فرق بين من أخذ الأجرة ليحج، ومن حج ليأخذها.

والحاج عن غيره له من الأجر بقدر نيته، فإن حج بقصد إسقاط الفرض عن أخيه والشوق إلى المشاعر، كان له من الأجر بقدر قصده، وإن حج عنه تبرعاً فيرجى أن يكون كمن دعا لغيره، أن له مثله في الأجر.

ومن أخذ نفقة ليحج عن غيره، فزاد معه شيء فله أن يأخذه (11).

4. مكان الإحرام بالحج

السؤال: ما الميقات المكاني ؟

الجواب: المقصود بالميقات المكاني أنَّ لكل ركن من أركان الحج والعمرة، ولكل عمل من أعمالهما مكاناً لا بد أن يؤدى فيه، فالطواف لا بد أن يكون حول البيت، والوقوف بعرفة لا بد أن يكون في أرض عرفة، كما يشمل الميقات المكاني المواضع التي يجب على المسلم – من يسكن خارج منطقة المواقيت – الإحرام منها، وهكذا (12).

الهوامش

1. المغني، 3 /155، وانظر مغني المحتاج 1 /462.
2. سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً.
3. آل عمران: 97.
4. المسالك في المناسك، 1 /256.
5. البقرة: 197.
6. المائدة : 27، حاشية ابن عابدين 2 /456، وأسرار الحج 153 – 154، والإنصاف 6 /151، وأوضح المسالك، ص 28.
7. تحفة الفقهاء، 1 /385، ومغني المحتاج، 1 /468، والعمدة شرح العدة، 1 /155.
8. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله.
9. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة.
10. صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَاب من أَحَقُّ الناس بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ.
11. حاشية ابن عابدين، 2 /601، وجامع العلوم والحكم، ص23، والمغني، 3 /164، ومجموع فتاوى ابن تيمية، 26 /14، وأسئلة وأجوبة في منسك الحج.
12. تحفة الفقهاء، 1 /391، والحج والعمرة، 43، ومعجم مصطلحات الحج 10.

مركز الضبط عند الإنسان

أ. يوسف عدوي / جامعة بيت لحم - كلية التربية

انبثق مفهوم الضبط من الإطار العام لنظرية التعلم الاجتماعي (لجوليان روتر)، وتهتم هذه النظرية بمحاولة فهم السلوك الإنساني في المواقف الاجتماعية المعقدة، والظروف البيئية التي تؤثر فيه، كما تبحث في أهمية التعزيز وأثره في السلوك. وستحاول هذه الدراسة أن تقف على المقصود بمركز الضبط وأنواعه، وبما يتميز به كل نوع، والعوامل المؤثرة فيه، وعلاقته بعلم النفس التربوي، وعلاقته بشخصية الفرد وحياته.

تعريف مركز الضبط

- المركز لغة: المقر الثابت الذي تتشعب منه الفروع. ومركز الرجل: منزلته ومكانته الحسية أو المعنوية، ومركز الدائرة: نقطة داخل الدائرة تتساوى المستقيمات الخارجة منها إلى المحيط.

- الضبط لغة: ضبطه ضبطاً: حفظه بالحزم حفظاً بليغاً، وأحكمه وأتقنه، ويقال: ضبط البلاد وغيرها: قام بأمرها قياماً ليس فيه نقص، وضبط الكتاب ونحوه: أصلح خلله أو صححه وشكله.

- مركز الضبط اصطلاحاً: هو الموقع أو المصدر الذي تنطلق منه مسببات السلوك، التي يعتقد الفرد أنها المسؤولة عن نجاحه أو فشله. فمركز الضبط يعني الطريقة التي يدرك

بها الفرد العوامل المسببة لنتائج سلوكه سواء أكانت هذه النتائج مرضية، كالثواب بجميع أنماطه، أم غير مرضية، كالعقاب بجميع أشكاله، أهي كامنة فـي نفسه، أم صادرة عن ظروف وأحداث خارجية هـي فوق قدرته وطاقته وإمكاناته؟

ويرى العالم الاجتماعي (روتر) أن مركز الضبط يتضمن بعدين، هما:

1. البعد الداخلي (Internal Locus Of Control).
2. البعد الخارجي (External Locus Of Control).

ويعرف البعد الداخلي: أنه مجموعة العوامل التي يعتقد الشخص بأنها المسببة لنتائج سلوكه من خير أو شر، وترجع في الوقت نفسه إلى ذاته وقدرته وجهوده وإرادته ومهاراته وتحكمه في بيئته. فالشخص في هذا البعد يرى ويشعر ويعتقد بأنه هو المسؤول المباشر عن تصرفاته ونتائج أعماله، وأن ما يحققه من نجاح، أو يمنى به من فشل، راجع إلى ما يبذله من جهد وإرادة وتصميم وأفعال، أو إلى نقص فيها.

أما البعد الخارجي: فهو مجموعة العوامل التي يعتقد الشخص بأنها المسببة لنتائج سلوكه من خير أو شر، وترجع في الوقت نفسه إلى عوامل خارجية فوق طاقته، وخارجة عن إرادته، ولا دخل له فيها، وليس له سيطرة عليها، أو التحكم بها، مثل الحظ، والقدر، والنصيب، والناس الآخرين.

والحقيقة أن الإنسان أدرى ما بداخله، مهما أبدى من أعذار واهية كاذبة. فقال الله تعالى: {بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلقَى مَعَاذِيرَهُ}(1).

تقوم نظرية مركز الضبط على افتراض أن توقع الفرد لحدوث التعزيز هو المحدد الأولي للسلوك، بالإضافة إلى أهمية ذلك التعزيز أو طبيعته، فالذي يحدد السلوك بصورة أساسية هو درجة توقع الفرد لاحتمال أن يؤدي ذلك السلوك إلى تعزيز، حيث يعمل التعزيز على تقوية التوقع في حال حصوله، وعلى تقليله أو إطفائه في حال فشل التعزيز.

أشكال الضبط الخارجي

1. ضبط الحظ.
2. القدر.
3. ضبط الآخرين والأقوياء.
4. عدم القدرة على الفهم والتنبؤ.

سمات الأفراد ذوي الضبط الداخلي

1. الكفاية.
2. المبادرة.
3. تحمل المسؤولية.
4. يثقون بقدراتهم، ويستطيعون أن يوظفوها لتحقيق أهدافهم.

سمات الأفراد ذوي الضبط الخارجي

1. القدرية.
2. الاعتقاد أن الحظ هو الذي يحدد مصائرهم.

دور البيئة والوسط الذي يعيش فيه الأطفال في تشكيل مركز الضبط لديهم

تؤدي البيئة دوراً مهماً وأساسياً في عملية التعلم، وفي تشكيل مصدر الضبط لدى الأطفال، فظروف بيئة معينة قد تدفع بالأطفال (الراشدين مستقبلاً) إلى تنمية مصدر داخلي للضبط، وفي ظروف أخرى قد تدفع إلى تنمية مصدر خارجي للضبط. وعندما يدرك الفرد أن هناك علاقة سببية بين الفعل والنتيجة، ينشأ لديه اعتقاد في الضبط الداخلي، وبالتالي فهو يعتبر أن المهارة لها دور كبير في تعلمه أساليب السلوك المختلفة في أي موقف. أما الشخص الذي لا يدرك وجود علاقة سببية بين الفعل والنتيجة، فهو شخص يعتقد في الضبط الخارجي، لذا فهو يعتبر أن الحظ له دور كبير في تعلمه

أساليب السلوك المختلفة.

لهذا نجد أن من يعتقد في الضبط الداخلي، يكون أكثر حذراً أو انتباهاً لتلك النواحي المختلفة من البيئة التي تزوده بمعلومات مفيدة لسلوكه المستقبلي، ويأخذ خطوات تتميز بالفعالية والتمكن لتحسين حال بيئته، ويعطي قيمة كبيرة لتعزيزات المهارات أو الأداء، ويكون عادة أكثر اهتماماً بقدراته وبفشله أيضاً، ويقاوم المحاولات المغرية للتأثير عليه.

أما الفرد الذي يعتقد في الضبط الخارجي يكون لديه سلبية عامة، وقلة المشاركة والإنتاج، وينخفض لديه الإحساس بالمسؤولية الشخصية عن نتائج أفعاله الخاصة، ويرجع إلى الأحداث الإيجابية والسلبية إلى ما وراء الضبط الشخصي، ويفتقر إلى الإحساس بوجود سيطرة داخلية على هذه الأحداث.

مركز الضبط وعلاقته بشخصية الفرد وحياته

مركز الضبط وعلاقته بعوامل تتعلق بشخصية الإنسان وحياته كثيرة ومتنوعة. منها ما ربطته بمظاهر شخصية مختلفة، كالقلق، والاكتئاب النفسي، والسلوك الانحرافي، والسلوك العدواني، والسلوك الدفاعي، أو الانفصام، والتخلف العقلي، والتكيف، وردود الفعل للمواقف التهديدية، إلى غير ذلك من الصفات النفسية، ومنها ما ربطته بمجال العمل، والمهنة، والعمال، والموظفين، والاختيار المهني، واستغلال وقت الفراغ، والبطالة، والتقاعد إلى غير ذلك من الصفات المهنية، ومنها ما ربطته بالموقف التربوي والتحصيل الأكاديمي للطالب وأداء المعلم. وبينت الدراسات في ذلك أن الأفراد المنضبطين داخلياً كانوا أقل قلقاً وأكثر تحملاً وتكيفاً، ومقاومة للأمراض النفسية، كما كانوا أقل عدوانية، ويتمتعون بصحة جسمية جيدة بشكل يفوق نظائرهم المنضبطين خارجياً، ويرون أنفسهم منجزين ومسيطرين على المواقف، متحكمين بها، واجتماعيين، وأذكياء وحازمين، ومستقلين، وفعالين، وذوي نفوذ، وعمليين، ويقاومون المواقف الغامضة، ويقدرون أنفسهم أكثر من

الخارجيين، ولديهم نظرة بعيدة للزمن، فيدركون حاضره وماضيه ومستقبله. ووجدت الدراسات أن الأفراد المنضبطين خارجياً كانوا أكثر وهناً وقلقاً وعدوانية وتشككاً، وغير متكيفين، ويعزون مسؤولية فشلهم للقوى الخارجية والناس الآخرين. كذلك المنضبطين داخلياً أقل إيماناً بالسلوك الخرافي والشعوذة وغيرها من الأعمال الغيبية غير المنطقية من الناس المنضبطين خارجياً، ويتميزون بالتفكير المتصف بالواقعية والعقلانية، وتبين الدراسات أن المنضبطين داخلياً كانوا أكثر قدرة على اختيار المهنة التي تناسبهم، وأكثر قدرة على التخطيط للعمل، والحياة بعامة والنجاح فيها، كما أنهم أكثر استقلالية، ومستعدين لبذل جهد أكبر في عملهم والانخراط به، ويستغلون وقت فراغهم بشكل أفضل، ونسبة البطالة بينهم متدنية مقارنة بنظائرهم المنضبطين خارجياً، وأكثر استقراراً في عملهم، ويعملون لساعات أطول، ويحتلون مراكز مهنية معتبرة في المجتمع، ويحبون العمل الذي يتطلب المهارة والقدرة، وإثبات النفس، وليس العمل الذي يعتمد على الصدفة والحظ والنصيب، علاوة على أنهم كانوا أكثر تكيفاً لضغوط العمل، وأقل مرضاً، وأكثر مقاومة لمواقف العمل الضاغطة المحبطة، التي تحاول أن تقهر قدراتهم ومهاراتهم.

علاقة مركز الضبط بعلم النفس التربوي والتحصيل العلمي

إذا عرفت الكيفية التي يتشكل بها مصدر الضبط والظروف البيئية التي تصاحب ذلك، يستطيع التربويون والمعلمون أن يعملوا على توجيه الأساليب التعليمية التربوية الوجهة الصحيحة، فيما يتعلق بتنشئة الأجيال الفلسطينية تنشئة يكونون من خلالها قادرين على التحكم في طاقاتهم وتحمل المسؤولية، واثقين بأنفسهم وبقدراتهم، ويستطيعون استقراء الواقع استقراء منطقياً، يعرفون ما لهم، وما عليهم، أطفال يدركون العلاقات السببية المنطقية وراء الأحداث، وقادرين على الاستفادة من خبراتهم في

تعديل سلوكهم بحيث يتمكنون في النهاية من تحقيق أهدافهم وأهداف مجتمعهم.

لهذا تثبت الدراسات أن الطلبة المنضبطين داخلياً كان تحصيلهم أعلى من تحصيل الطلبة المنضبطين خارجياً، وذلك لشعورهم أنهم المسؤولون عن نجاحهم وفشلهم بما يبذلونه من جهد، أو ما يتوانون عنه، وأن هناك ثلاثة توجهات للضبط، وهي: الداخلي، والخارجي، والضبط الوسط.

العوامل المؤثرة على مركز الضبط

1. الأسرة.
2. المؤسسات التربوية.
3. العقيدة الدينية.
4. التأثيرات الثقافية.

الوسط العدل والخير الفاضل

إن الطريق الصحيح الصالح لعلاج النفس الإنسانية هو مصارحتها بحقيقتها، وكشف ظنونها وأوهامها وتبصيرها بما يجب أن تسلكه، فهناك أفعال وتصرفات خاطئة عليها أن تتجنبها، وتعترض عليها، وأن تدفعها بعيداً عنها، فتتوقف عن اتباع كل ما يخالف القيم الأخلاقية والمبادئ العليا التي أمرت باتباعها، والتي أراد الله للنفس أن تتحلى بها سلوكاً وأخلاقاً وغاية. وهنا ترقى النفس وتتسامى؛ لأن حالها الدائم هو الندم على ما اقترفته من الآثام والشرور، فتدأب على البعد عن المخالفات، وتشغل باللوم لنفسها عند اقتراف السيئات، حتى يصبح هذا الحال ملازماً لها، ثابتاً لديها.

إن مفتاح الصحة النفسية في الإسلام هو الوسط العدل، والوسط العدل عملية تخلية وتحلية؛ تخلية عن الأوصاف المذمومة، وتحلية بالأوصاف المحمودة، فهو بهذا المعنى استقامة للحق والصدق، وهو موازنة واعتدال، وقد وردت الآيات الكريمة التي تحث الإنسان

على اتباع طريق الله، وهو لا شك الطريق الموصل إلى الصحة النفسية، فقوله تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}(2)، تكليف من الله للإنسان الذي وهبه العقل، وميزه عن سائر الحيوان ليختار طريق العدل بنفسه، كما أمر تعالى باختيار العدل مع غيره.

وعلى النفس أن لا تنشغل بحظوظها وشهواتها وأهوائها، فترد على الوساوس الشيطانية التي تحجبها عن الحقائق، وتحسن لها الأعمال والأفعال المستقيمة، وتشغلها باللذات التي تطلبها، والشهوات التي لا تشبع منها، وبالرغبات التي لا تنتهي عند حد، والأماني التي تنزع إلى تحقيقها عاجلاً، والأهواء التي تجنح بها عن الطريق المستقيم، تصديقاً لقوله تعالى: {... وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً}(3)، وقال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}(4).

وفي نهاية هذه الدراسة يحسن تقديم بعض التوصيات التي لا بد منها لكل إنسان في هذا السياق:

1. العمل على توعية الوالدين والقائمين على عمليات التنشئة الاجتماعية بكيفية التعامل مع المراهقين، وتنمية ثقتهم بأنفسهم، وإرشادهم إلى الطرق المختلفة التي يستطيعون من خلالها التعرف على قدراتهم وإمكاناتهم.
2. العمل على توعية الوالدين بعدم التدخل المباشر في شؤون أبنائهم الداخلية، وعدم التمادي في القسوة عليهم إذا أخطأوا، وإشعارهم بقيمتهم وتعويدهم على الاعتماد على أنفسهم.
3. العمل على توعية الوالدين والمربين على أهمية إعطاء الطلبة فرصة التعبير بطلاقة عن آرائهم، والمشاركة في اتخاذ القرار.
4. العمل على توعية الأسرة بأهمية الاهتمام بالأبناء، ومنحهم الحب والرعاية والثقة.
5. تثقيف الأفراد منذ طفولتهم، والعمل على تعويدهم على تحمل المسؤولية.

6. تجنب إظهار الخلافات الأسرية للأطفال، وإشعارهم بالدفء الاجتماعي والأمان والاستقرار.

7. الصراحة والصدق ومواجهة الآخرين، وانتقادهم الانتقاد البناء الهادف وليس الهادم.

8. تجنب الشعور بالدونية مهما كانت قدرات الفرد وإمكاناته، والابتعاد عن الغرور والكبر.

المراجع

1. القرآن الكريم.
2. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1960م.
3. نحو علم نفس إسلامي، حسن محمد الشرقاوي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر.
4. المستخلص في تزكية الأنفس، ط11، سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، 2005م.
5. العلاقة بين مركز الضبط ومتغيرات أخرى ذات علاقة لدى طلبة الدراسات العليا في كلية التربية في جامعة النجاح الوطنية، أفنان نظير دورزة، نابلس، 2006م.
7. Abdallah Taisir. Self-Esteem and locus of control of college Men in Saudi Arabia, Psychological Reports, 1989, p.1323-1326.
8. Democratization, the Journal of Social Psychology, 1991, p.217-222.

الهوامش

1. القيامة: 14 - 15.
2. هود: 112.
3. الكهف: 28.
4. الشمس: 7 - 8.

أحاديث نفخ الروح

دراسة في طرق الإسناد والمتن

عمار توفيق أحمد بدوي / مفتي محافظة طولكرم

تعدّ مسألة نفخ الروح من المسائل المهمة التي اعتمد عليها في بيان الأحكام الشرعية للجنين، ودرسها العلماء قديماً وحديثاً، وقد اشتهر في تحديد زمن نفخ الروح حديثان، هما: حديث ابن مسعود، رضي الله عنه، وحذيفة بن أسيد، رضي الله عنه.

أما الحديث الأول؛ فيدل على أنّ نفخ الروح يكون بعد مضي أربعة أشهر على الحمل، وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء، وأما الحديث الثاني؛ فيدل على أنّ نفخ الروح يقع في الأربعين الأولى، وهو مذهب بعض الفقهاء، ويؤيده الأطباء.

وتحاول هذه الدراسة أن تدرس الأحاديث الشريفة التي تحدثت عن مراحل الخلق، على النحو الآتي:

روايات حديث خلق الجنين

الصحابة الذين رووا حديث خلق الجنين في بطن أمه، هم: عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن أسيد، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، رضي الله عنهم، ودراسة هذه الروايات تقربنا من الفهم الصحيح، والقول السديد في مراحل تخلق الجنين، ومنها نفخ الروح.

وهناك روايات أخرى عن صحابة آخرين لم أطلع عليها، ذكرها ابن حجر في فتح الباري،

وابن رجب في جامع العلوم والحكم. (1)

حديث ابن مسعود،رضي الله عنه، وبيان طرقه

عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، حدثنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق المصدوق: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكاً؛ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ...).(2)

وحديث ابن مسعود، رضي الله عنه، مروي عنه بأكثر من طريق فيها تشابه، واختلاف.

أولاً ـ الروايات التي ذكرت مراحل التخلق، ومنها نفخ الروح

الرواية الأولى: من طريق الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود، وهذه الرواية نصّت على الآتي:

1. يجمع خلق الجنين في بطن أمه أربعين يوماً.
2. ثم يكون علقة مثل ذلك.
3. ثم يكون مضغة مثل ذلك.
4. ثم يبعث الله ملكاً، فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد.
5. ثم ينفخ فيه الروح. (3)

ثانياً ـ الروايات التي ذكرت مراحل التخلق ولم تذكر نفخ الروح:

الرواية الأولى: من طريق الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود، وتنص على الآتي:

1. يجمع خلق الجنين أربعين يوماً.

2. ثم يكون علقة مثل ذلك.

3. ثم يكون مضغة مثل ذلك.

4. ثم يبعث الله ملكاً، فيؤمر بأربعة؛ بعمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد.(4)

الرواية الثانية: من طريق سلمة بن كهيل، عن زيد بن وهب، عن عبد الله ابن مسعود.(5)

الرواية الثالثة: من طريق ابن عوف، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود.(6)

الرواية الرابعة: من طريق عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود.(7)

الرواية الخامسة: من طريق علي بن زيد، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن عبد الله بن مسعود.(8)

الرواية السادسة: من طريق علقمة والأسود عن ابن مسعود، رضي الله عنه.(9)

ثالثاً ـ الروايات التي اختلف ترتيبها، فجعلت نفخ الروح بعد التخلق، والكتابة بعد نفخ الروح، وكانت الرواية الأولى: من طريق الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله ابن مسعود.(10)

رابعاً ـ الروايات التي ذكرت الحديث كاملاً، بما فيها نفخ الروح، وأربعين يوماً نطفة:

الرواية الأولى: من طريق سلمة بن كهيل، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود.(11)

الرواية الثانية: من طريق الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود.(12)

حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه

عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكاً يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ، قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ).(13)

حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنه

عن جابر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إِذَا اسْتَقَرَّتْ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمَ أَرْبَعِينَ يَوْماً، أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، بَعَثَ إِلَيْهَا مَلَكاً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ؛ مَا رِزْقُهُ؟ فَيُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ؛ مَا أَجَلُهُ؟ فَيُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ؛ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ فَيُعْلَمُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ؛ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَيُعْلَمُ).(14)

حديث حذيفة بن أسيد، رضي الله عنه

عن حذيفة بن أسيد، رضي الله عنه، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكاً، فَصَوَّرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا، وَبَصَرَهَا، وَجِلْدَهَا، وَلَحْمَهَا، وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ؛ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ؛ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ؛ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ...).(15)

قال ابن رجب الحنبلي: (وظاهر هذا الحديث يدلّ على أنّ تصوير الجنين، وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظامه يكون في أول الأربعين الثانية).(16)

نظرة في متون الروايات

أولاً: تكاد الروايات تتفق على أنّ التخلق يكون في الأربعين الأولى، وذلك بالنص من قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً).

والروايات التي لم تنص على ذلك صراحة نصت ضمناً، من قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً)، مع التسليم ابتداءً أن هناك روايات قُرب الأربعين. عن غير ابن مسعود، رضي الله عنه.

(فالتخليق يبدأ من مرحلة النطفة، بعد أن تستقر في الرحم، أي بعد أن تصير علقة، ومضغة، وهذا ما أكّده الطب).(17)

وقال الطبيب الرئيس ابن سينا: (الجنين تتضح معالمه في الأربعين يوماً، ويتأخر في النادر إلى خمسة وأربعين يوماً، والأقل في ذلك ثلاثون).(18)

ونقل الفاضل علي بن أعطى الحموي الطبيب، اتفاق الأطباء على أنّ خلق الجنين في الرحم يكون في نحو الأربعين، وفيها تتميز أعضاء الذكر دون الأنثى؛ لحرارة مزاجه وقواه).(19)

وهذه الأقوال لأهل الطب تتفق مع هذا الحديث.

ثانياً ـ مرحلة نفخ الروح

من المُسلّم به أنّ نفخ الروح أمرٌ غيبيّ، وروايات ابن مسعود، رضي الله عنه، في خلق الجنين، منها ما ذكرت نفخ الروح بعد مراحل التخلق الثلاث، ومنها ما لم تذكر نفخ الروح، وهناك روايات ذكرت نفخ الروح كآخر مرحلة بعد المراحل الثلاث، وكتابة الأعمال.

أما رواية حذيفة وأنس وجابر، رضي الله عنهم، فلم تذكر نفخ الروح، ولكنها ذكرت التخلق، وكتابة الأعمال، شقي أو سعيد ... مما يعني أنّ نفخ الروح مذكور ضمناً، وليس بالضرورة أن يكون مذكوراً نصاً صريحاً، فالجنين المُتَحدّث عنه واحد، فهناك طرق لحديث ابن مسعود لم تذكر الروح، فهل يعني هذا، أنّ ذلك الجنين المتخلق، والذي كُتبت عليه الأعمال غير سوي؟ هذا غير وارد، وهل تكتب الأعمال، والشقاوة، أو السعادة على كائن غير حيّ؟ فالادّعاء أن تلك الروايات لم تذكر الروح، لا يقدم ولا يؤخر في الفهم شيئاً.

وهناك أمر آخر، وهو الانتقائية في أخذ الروايات، فعدم أخذ الروايات كلها جميعاً، ووضعها تحت الدراسة يعني الانتقائية، وهذه طريقة غير سديدة، فحديث ابن مسعود، رضي الله عنه، نفسه تعدّدت طرقه، واختلفت ألفاظه، كما أسلفت. فكيف إذا أضفنا إليه بقية الأحاديث عن غيره من الصحابة.

لذا أرى أنّ الطريق السديد في المسألة هي جمع الروايات جميعها، ودراستها بما يجعلها متفقة غير متضاربة، ولم أجد من الباحثين من جمع تلك الروايات ودرسها جملة واحدة.

ولقد اطّلعت على دراسة للدكتور شرف القضاة، عن نفخ الروح، ولكنه لم يجمع الروايات بطرقها، ودراسته اقتصرت على جزء من تلك الروايات، ولي مأخذ حديثي، وهو دمجه الطرق في طريق واحدة، برواية واحدة، مما خلّط الأمر.(20)

كذلك هناك دراسة أخرى للدكتور محمد الأشقر لحديث ابن مسعود، رضي الله عنه، ذكر بعض طرقه.(21)

أما قول بعض الباحثين إنّ هذه الأحاديث سيقت لبيان القدر المكتوب على الإنسان، فاختلفت في وقت كتابة القدر (22)، فهنا أقول: هل الروايات تفصّل تفصيلاً للفقهاء؟ الفقه يدور مع الرواية، وليست الرواية تدور مع الفقه، فالرواية هي الأصل، وعليها يبنى الحكم، ولا علاقة للفقيه بنص الرواية، ولا يملك أن يبدّل، أو يغير فيها شيئاً، فالرسول، صلى الله عليه وسلم، حدّث بالحديث، والفقهاء دورهم الاستنباط.

إنّ رواية ابن مسعود، جعلت المحدّثين يتخوّفون في البداية، لتفرد الأعمش عن زيد ابن وهب بها. قال عليّ بن المديني: (كنا نظنّ أنّ الأعمش تفرد به حتى وجدناه من رواية سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب).(23)

ولنعد إلى مسألة نفخ الروح، فأقول: حديث ابن مسعود نفسه، فيه اختلاف في توقيت نفخ الروح، ومن العجائب أن يقال هذا من الرواة، لتقديم واحدة على أخرى، فهل طرق الحديث كلها إلا تحديث الرواة؟ وأقول أيضاً: لمّا كان حديث ابن مسعود بمجموع طرقه، إضافة إلى أحاديث غيره من الصحابة التي ذكرتها، تفهم جملة واحدة؛ فيتبين الاتفاق على تخلّق الجنين في أربعين يوماً، والتخلّق يعني الاستعداد التام لتقبل الحياة، بمعنى حياة من نوع

جديد، وهي حياة الروح.

وإذا استعرضنا آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن الخلق، نجدها تصرّح بأن نفخ الروح يكون بعد التخلّق، ففي قصة آدم، عليه السلام، قال الله تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ}(24)، فبعد خلقه من طين، نفخت الروح، وهكذا الجنين بعد تخلقه، تنفخ فيه الروح، وتخلقه بعد الأربعين؛ مما يعني تلقائياً أنّ الروح تنفخ بعد ذلك، فما هي دعوى التأخير إلى أربعة أشهر؟ إنّ دعوى التأخير أتت من مفهوم الحديث نطفة أربعين يوماً، ثم علقة، ثم مضغة، ثم تنفخ فيه الروح، وهذه الدعوى سيتم إزالة الشبهة عنها.

إنّ رواية مسلم لحديث ابن مسعود أقوى دلالة في كل معانيها، وكذلك تسندها رواية البخاري التي تخلو من ذكر الروح، وقد مرت فيما سبق.

أما رواية مسلم في صحيحه؛ فهي منسجمة انسجاماً تاماً، من حيث التسلسل في الخلق، ونفخ الروح، وكتابة الأعمال آخراً، فعن عبد الله، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ...).(25)

هذا الحديث اشتمل على فوائد منها:

الفائدة الأولى: نفخ الروح يكون بعد التخلق، وقبل كتابة الأعمال، وهذا مؤيد برواية للبخاري، وهو الصواب، إذ كيف تكتب الأعمال على من لم يخلق بعد، قد يقال: إنّ الأعمال كُتبت على الخلائق في اللوح المحفوظ، ولم يخلقوا بعد، فأقول: نعم؛ كُتبت على

من كتب الله سبحانه وتعالى لهم الحياة، أما أولئك الذين لم تقدّر لهم الحياة في الميلاد، فماذا سيكتب لهم؟! وهل الجنين عليه شقاوة وسعادة إذا مات في بطن أمه؟

الفائدة الثانية: التخلق يتمّ في مرحلة الأربعين الأولى، وهذا مشهود له في روايات عدة مرّت سابقاً.

الفائدة الثالثة: إنّ مراحل التخلق نطفة، فعلقة، فمضغة، تتم في الأربعين الأولى. وذلك من قوله، صلى الله عليه وسلم: (ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ). وهذا مؤكّد من ناحية طبية، حسب المكتشفات الحديثة، إضافة إلى أنه قول يحتمله النصّ، وغير مستبعد. قال القاضي عياض: (بأنه ليس في رواية ابن مسعود، رضي الله عنه، بأنّ ذلك يقع عند انتهاء الأربعين الأولى، وابتداء الأربعين الثانية، بل أطلق الأربعين، فاحتمل أن يريد أنّ ذلك يقع في أوائل الأربعين الثانية).(26)

وقال ابن حجر: (ويحتمل أن يكون المراد تصيرها شيئاً فشيئاً، فيخالط الدم النطفة في الأربعين الأولى بعد انعقادها، وامتدادها، وتجري في أجزائها شيئاً فشيئاً، حتى تتكامل علقة في أثناء الأربعين)(27)، وبهذا يتّضح تعجل بعض الباحثين في الإنكار والادّعاء، أنّ أحداً من شراح الحديث القدامى لم يقل بدلالة رواية (مثل ذلك في ذلك) على أنها في أربعين واحدة(28)، وجانب بعض الباحثين المعاصرين الصواب بقوله: إنّ أحداً لم يتكلم عن الفرق بين الروايتين (في ذلك مثل ذلك) ورواية (مثل ذلك).(29)

والحقيقة العلمية، والتقدم الطبي يؤكد ذلك، قال الدكتور محمد علي البار عن أحاديث الأربعين التي يتم فيها التصور: (وهي كلها تنص على أن تكوّن الأعضاء يكون في الأربعين... وعلم الأجنة الحديث يؤكد ذلك، والصور والأفلام موجودة).(30)

قال ابن حجر: (ومال بعض الشراح المتأخرين إلى الأخذ بما دلّ عليه حديث حذيفة ابن

أسيد، رضي الله عنه)(31)، أما اسم الإشارة في قوله، صلى الله عليه وسلم: (ثم يكون في ذلك مثل ذلك)، فقد تنازع في عودته باحثان معاصران، الأول أعاده إلى أربعين يوماً الأولى؛ أي تكون أيضاً علقة في الأربعين الأولى، وكذلك مرحلة العلقة هي أيضاً في الأربعين الأولى(32)، والثاني نازعه في ذلك.(33)

وقال الدكتور القضاة: فلا شك أنّ قوله (في ذلك) أي في ذلك الوقت، وهو الأربعون الأولى لا غير، فينبغي تفسير قوله (في ذلك) تفسيراً آخر غير الوقت، فالحديث معناه من غير تكلّف: ثم يكون في ذلك الوقت مثل ذلك الجمع، فهناك شبه بين العلقة، والمضغة، وبين الجمع الأول؛ وهو النطفة.(34)

والخلاصة التي وصلت إليها أنّ التخلق يتمّ في الأربعين الأولى، ومن ثَمّ نفخ الروح التي لا ندري كنهها، إلى أن يتمّ الوضع والميلاد.

الهوامش

1. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ، ج11، ص479. ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن، جامع العلوم والحكم، بيروت، دار المعرفة، ص48، وضعف ابن حجر بعض هذه الروايات، ولم يتسنّ لي تتبعها كلها.
2. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.
3. صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} وسنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر.
4. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.
5. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، ج1، ص414.
6. المعجم الصغير للطبراني، ج1، ص133.

7. المعجم الصغير للطبراني، ج1، ص269.

8. مسند أحمد، مسند المكثرين، مسند عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، إسناده ضعيف ومنقطع.

9. مسند البزار، ج4، ص351، وهي رواية ضعيفة، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص479.

10. صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي.

11. معجم شيوخ أبي بكر الإسماعيلي، ج1، ص480 - 481.

12. مسند الشاشي، ج2، ص142، قال ابن حجر: وهي عند أبي عوانة في صحيحه، ينظر: فتح الباري، ج11، ص479، وتعجل الدكتور محمد نعيم ياسين عن رواية النطفة، فقال: (وإنما وقع ذكرها في رواية واحدة عند أبي عوانة فقط) ياسين، د. محمد نعيم، أبحاث فقهية في قضايا طبية معاصرة، ص81.

13. صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب قوله تعالى: {مخلقة وغير مخلقة}، وصحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي.

14. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله، رضي الله عنه.

15. صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي.

16. ابن رجب: جامع العلوم والحكم، ص47.

17. البار، د. محمد علي: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ط10، السعودية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1415هـ، ص434.

18. ابن سينا، الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي: القانون في الطب، تحقيق سعيد اللحام، بيروت، دار الفكر، ج3، ص245.

19. ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج11، ص481.

20. ينظر: القضاة، د. شرف، متى تنفخ الروح في الجنين، ط1، عمان، دار الفرقان، 1410هـ - 1990م، ص31.

21. الأشقر، د. محمد، أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1422 - 2001،

ص72 و76 - 79.

22. ياسين، أبحاث فقهية في قضايا طبية معاصرة، ص79.

23. ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص478.

24. السجدة: 7 - 9.

25. صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي.

26. ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج11، ص481.

27. ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج11، ص481.

28. ياسين، أبحاث فقهية في قضايا طبية معاصرة، ص81.

29. الأشقر، أبحاث اجتهادية في قضايا طبية، ص78.

30. البار، د. محمد علي: الجنين المشوّه والأمراض الوراثية، ط1، دمشق، دار القلم، جدة، دار المنارة، 1411هـ/1991م، ص396.

31. ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص485.

32. الأشقر، أبحاث اجتهادية في قضايا طبية، ص78.

33. ياسين، أبحاث فقهية في قضايا طبية معاصرة، ص81.

34. القضاة، متى تنفخ الروح في الجنين، ص46.

قدرة الله جل جلاله

شعر كمال أبو هليل

هذي الحياةُ إذا كشفْتَ قِناعها ... فاحتْ روائِحُها ودارَ رحاها

فيها المكارهُ مِنْ جَميعِ صِفاتِها ... تغتضُّ بالشَّهَواتِ كَي نَهْواها

فيها أُنــاسٌ يَلْهَثونَ وَراءهــا ... ويُشاطِرون فُجورَها وَعُصاها

هُــمْ كالمعادِن قَـدْ تَعدَّدَ نوعُها ... منها الحُلِيُّ وبعضها بصداها

ظَـنّـوا الحـيـاةَ بحُلِوها وَجَمـالِهـا ... دارُ السَّعادَةِ لَيسَ دارٌ سِواها

لـو أنّـهـا خُـلْـدٌ وَدارُ سَـعـادَةٍ ... ما كانت الأُخْـرى ولا أنْشاها

هي اسْمُها دُنْيا الدَّناوَةِ والدُّنا ... نُـدْنـي لها والــدُّنُّ مِـنْ دُنّاها

فيها الحَلالُ إذا سَعَيْتَ لِكسْبِهِ ... تَجـدِ المَعالي في العُلا مَحْياها

خُذْ ما تَشاءُ من الطّيابِ وَمثْلِهِ ... وَذَرِ الخَبيثَ لِخُبثِها وَسُفاها

وَاغْرِفْ بكَفِّكَ من طَهارَةِ مائِها ... واتْــرُكْ لها عَكرانَها وَغُثاها

واحْصُدْ سَنابلَها وَخَــزِّنْ لُبَّها ... واتْــركْ لها سِـفّـيرَهـا وَلُحـاهـا

غَـذّي حَياتَكَ ثمَّ فِكْرَكَ أوّلاً ... فيها عُلومُ الـدّيـنِ ما أغناها

فيها الثّقافَةُ والفقاهةُ والرُّبى ... تحيي النُّفوسَ وَترْتَدي زِيّاها

هــذا كـتـابُ اللهِ نــورُ قُلوبنا ... فاعْمَل بهِ وَأضِــئْ به ظُلْماها

واجْلي صُـدورَ الغافِلينَ بنورهِ ... وابْـصِـرْ قلوباً ضِلُّها أعْماها

قُمْ في سبيل اللهِ وَاخْـرجْ داعياً ... واعْـطِ العَقِيدةَ حَقَّها وَتقاها

هِيَ في المماتِ صَلاحُنا وَفلاحُنا ... وَنَجـاتُـنـا مِــنْ حَـرِّهـا وَلظاها

وَإذا حَوَتْكَ هُمومُها وَمَصابُها ... فَـاصْـبرْ على آلامِـهـا وَأذاهــا

دَرْبُ الجِنانِ عَصيبةٌ وَمَليئةٌ ... فِــتَنٌ، وعَـثـراتٌ تَحُـفُّ خُطاها

هــذا سَبيلُ المؤمِنين بربِّهِمْ ... وَسَبيلُ كُـلُّ مُهاجِرٍ يَسعاها

تنويـــــــــه

تأسف أسرة تحرير مجلة الإسراء لوقوع خطأ في العدد 98 صفحة 90 حيث نشرت قصيدة بعنوان «شهر التوبة والغفران» للشاعر عبد الله فنون، والصحيح أنها للشاعر كمال أبو هليل لذا اقتضى التنويه.

العلمُ نور

الدكتور / مفيد جاد الله
جامعة القدس المفتوحة

يا طالب العلمَ إنَّ العلمَ إيمانُ ... بعدَ النبيينَ أهلُ العلم عنوانُ
العلمُ شمسٌ عناق المجِـد غايتهُ ... لا خابَ أصحابُهُ يوماً ولا هانوا
يرسو الجمالُ نقياً في وسائطهِ ... حـروفـهُ كلها فـلٌ وريحـانُ
يُهذبُ النفسَ والإحساس يصقلهُ ... فليس في صوتهِ زورٌ وبهتانُ
وليس يخذلُ من يسعى لصحبتهِ ... فالعلم وعيٌ وأخلاقٌ وسلطانُ
كل الحضاراتِ من آفاقِهِ نهلت ... فأصبحت بوشاح المجد تـزدانُ
يُبّجل العِلم من يرتادُ ساحتهُ ... مؤكِداً أنه في الأرض إنسانُ
فَسِرْ على دربه واعشق منابعه ... طوبى لمن ودهم للعلم قد صانوا
ولا يضيركَ من في وهمهم سكنوا ... وحاربوا النورَ بل خصماً له كانوا
فمارسوا الجهلَ والتجهيلَ واحترفوا ... نهجاً معالمه إثـمٌ وعـدوانُ
واعلم بأنك مسؤولٌ ومؤتمنٌ ... لا يرحم الله من عقوا ومن خانوا
واحرص على همةٍ خضراءَ ناضرةٍ ... ولا تحـُّدك في مَسعاك أزمـانُ
مجالس العلم والـزَمْ دونما كللٍ ... فجوهر العلم تمحيصٌ وإمعانُ
يُيسر الله مسعىً أنت تسلكهُ ... وجنةً لك في الآخرة ورضوانُ
العلمُ يبقى طويلاً بعدَ صاحبهِ ... تعلو أجـورٌ بـه...تـزدادُ أوزانُ

من أخبار نشاطات مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء الفلسطينية

إعداد: الأستاذ مصطفى أعرج / نائب المدير العام للعلاقات العامة والإعلام

المفتي العام يشارك في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي بالسعودية

مكة المكرمة: شارك سماحة الشيخ محمد حسين-المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك- في أعمال مؤتمر رابطة العالم الإسلامي، الذي عقد في مكة المكرمة تحت عنوان (العالم الإسلامي... المشكلات والحلول)، حيث قدم سماحته ورقة عمل، بيّن فيها ما يتعرض له العالم الإسلامي من مشكلات؛ كالفقر، والمجاعة، والأمية، وعدم وجود وعي بالثقافة الإسلامية وفكرها، والاهتمام بالكم أكثر من الكيف، وطرحت الورقة حلولاً عدة للمشكلات، وتتمثل في وحدة العالم الإسلامي، ودور العلماء في توجيه الشعوب والأفراد، ودراسة قضايا الأمة ومشكلاتها دراسة علمية لحلها.

والتقى سماحته على هامش المؤتمر العديد من الشخصيات والوفود الرسمية والشعبية، وأطلعهم على آخر المستجدات والانتهاكات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته، مثمناً الدور الذي تقوم به المملكة العربية السعودية الشقيقة في دعم القضية الفلسطينية وصمود الشعب الفلسطيني.

ضم سماحة المفتي العام

وفد من مكتب الرئاسة الفلسطينية يزور الأوقاف واللجان العاملة في المسجد الأقصى المبارك

القدس: مع وفد من مكتب الرئاسة الفلسطينية، قام سماحة الشيخ محمد حسين- المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك- بزيارة دائرة الأوقاف الإسلامية بالقدس واللجان العاملة في المسجد الأقصى المبارك، حيث التقوا فضيلة الشيخ عبد العظيم سلهب رئيس مجلس الأوقاف، وعدداً من أعضاء المجلس، وذلك في القبة النحوية، كما زار عيادات المركز الصحي داخل المسجد الأقصى المبارك، والتقى الوفد أعضاء المجموعات الكشفية العاملة في المسجد، وثمن سماحته دور الحركة الكشفية، وقال: إنها دوماً تقوم بدورها في المسجد الأقصى المبارك، وهذا الدور مهم جداً ليس فقط لترتيب دخول المصلين وخروجهم، وإنما لأسباب مختلفة لها علاقة بأوضاع المسجد ككل، وقال إن هذا الجهد البارز سيسجل كعلامة فارقة لأبناء الحركة الكشفية في التاريخ، وإنه شرف لنا ولهم خدمة المسجد الأقصى المبارك وحمايته، وضم الوفد الدكتور حسين الأعرج رئيس ديوان الرئاسة، والمهندس عدنان الحسيني محافظ القدس، والمحامي أحمد الرويضي مستشار ديوان الرئاسة.

خلال استقباله نائب القنصل الفرنسي

المفتي العام يدين الإجراءات التعسفية لسلطات الاحتلال

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين- المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك- في مكتبه سعادة السيد أوليفير بلانكون نائب قنصل عام فرنسا في القدس، حيث أطلعه سماحته على الأوضاع الصعبة التي يعاني منها الشعب

الفلسطيني ومقدساته، وخصوصاً مدينة القدس والمسجد الأقصى المبارك، والإجراءات التعسفية لسلطات الاحتلال الإسرائيلي، والتي شملت هجمة استيطانية شرسة على

الأراضي الفلسطينية بعامة، ومدينة القدس بخاصة، إضافة إلى تشديد الخناق على أبناء المناطق الفلسطينية المحيطة بمدينة القدس، وحرمانهم من زيارتها والصلاة بمسجدهم الأقصى، وفرض قيود مشددة على الراغبين بالتوجه إليه للصلاة فيه، كما أشاد سماحته بالعلاقة بين المسلمين والمسيحيين من أبناء فلسطين، مؤكداً على عمق العلاقة بينهم، وأنهم يواجهون خطراً واحداً، وهو الاحتلال الإسرائيلي، مبيناً أن التعايش الإسلامي المسيحي في فلسطين هو أُنموذج يحتذى في العالم أجمع، وشكر سماحته الموقف الفرنسي والأوروبي الرافض لسياسة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية، مؤكداً على عمق العلاقات الفلسطينية الفرنسية، بدوره قدم السيد أوليفير بلانكون التهاني لسماحته وللمسلمين بحلول شهر رمضان المبارك، مؤكداً على المواقف الواضحة لحكومته وشعبه من الأحداث الجارية.

وحضر اللقاء الشيخ إبراهيم خليل عوض الله الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية.

المفتي العام يستقبل القنصل البريطاني العام

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين- المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك - في مكتبه سعادة السير (فينسنت فين) القنصل البريطاني العام، والسيد (ديف جونز) القنصل السياسي، وتناول اللقاء استعراض

آخر التطورات والأحداث في المنطقة، وأطلع سماحته الوفد على الانتهاكات والممارسات والاعتداءات التي تقوم بها سلطات الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته، مشيراً إلى القيود المشددة التي تفرضها سلطات الاحتلال على دخول المصلين إلى المسجد الأقصى المبارك لأداء الصلاة فيه، مخالفة بذلك القوانين والشرائع والأعراف الدولية التي تكفل حرية العبادة، وبين سماحته أن هذه السلطات منعت المصلين الذين تقل أعمارهم عن خمسين عاماً من دخول الأقصى، مما دفع كثيراً منهم لأداء الصلاة في الشوارع، أو العودة إلى بيوتهم دون أدائها، وبخاصة النساء.

وحذر سماحته من عواقب هذه التصرفات التي تزيد حالة الاحتقان في المنطقة، وبين أن هذه السلطات تقوم بممارسات على أرض الواقع، تدل على عدم رغبتها في السلام

والاستقرار في المنطقة، ومن ذلك حمايتها للمستوطنين الذين لا يمر يوم دون أن يقوموا باعتداء أو إرهاب ضد المواطنين الفلسطينيين الأبرياء، ومقدساتهم وأراضيهم، مثل: حرق المساجد، أو قطع الأشجار، ومصادرة الأراضي .....إلخ، وعبر سماحته عن أمله بأن تساند دول العالم القيادة الفلسطينية في طلبها الاعتراف بها كدولة في الأمم المتحدة، مطالباً العالم الحر التحرك لإنهاء الاحتلال الأخير في العالم، وأشاد سماحته بالدعم الذي تقدمه بريطانيا والاتحاد الأوروبي للشعب الفلسطيني، من جانبه شكر السيد (فين) سماحته على حسن الاستقبال، وقدم لسماحته وللمسلمين التهاني بقرب حلول عيد الفطر السعيد، معرباً عن أمله في عقد المزيد من هذه اللقاءات في المستقبل.

خلال حفل تكريم أندية رياضية في القدس

المفتي العام: أي لقاء في القدس يأخذ أهمية كبرى لأنه مازال فيها من يقبض على الجمر

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين- المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك- في حفل تكريم أندية هلال القدس، وجبل المكبر،

وسلوان، الذي أقامته مجموعة الاتصالات الفلسطينية بالقدس، وحضر الحفل العديد من الشخصيات الرسمية والشعبية، وحيّا سماحته المرابطين الصامدين في مدينة القدس -مدينة السلام- كافة، مؤكداً على أن الأرض الطيبة المباركة تثمر بركات، وأكد سماحته؛ أن أي لقاء في القدس يأخذ أهمية كبرى؛ لأنه مازال في القدس الشريف من يقبض على الجمر، وأضاف أن هذه النشاطات الرياضية مهمة، وذلك حتى ينجح الشعب في البقاء؛ لأنه لا بد من نشاطات تشحذ عزيمته وتنشطه، وأبرزها النشاطات والفعاليات الرياضية في المدينة المقدسة.

المفتي العام يترأس اجتماعاً لمفتيي المحافظات

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين-المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، رئيس مجلس الإفتاء الأعلى- اجتماعاً لمفتيي المحافظات، نوقش فيه الإجراءات الإدارية والمالية لدار الإفتاء، وذلك استكمالاً لورشة العمل والاجتماعات السابقة بالخصوص، والتقى سماحته والمفتون على هامش الاجتماع مندوباً عن مؤسسة (قيادات)، الذي اطّلع على موقف أصحاب الفضيلة من قانون العقوبات الفلسطيني، الذي يجري العمل على

إعداده، خاصة فيما يتعلق بعقوبة الإعدام، وأكد سماحته أن الإسلام شرع القصاص ليس رغبة في الانتقام، ولا تساهلاً في إزهاق الأرواح، بل من أجل ضمان أمن المجتمع واستقراره، متسائلاً عن حال المجتمع لو لم يوجد هناك قانون عقوبات مناسب، وأضاف أن هناك عقوبات تستلزم الإعدام لخطورتها، وبيّن أنَّ الإسلام حدد لكل جريمة عقوبة، كما أنه يشجع على العفو والصفح، خاصة عند تنازل أهل المجني عليه عن حقوقهم.

المفتي العام يشارك في افتتاح مقر نادي الأسير في الرام

الرام: شارك سماحة الشيخ محمد حسين-المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك- في افتتاح مقر نادي الأسير بالرام في محافظة القدس، والذي حضره عدد من الشخصيات الرسمية والشعبية، وألقى سماحته كلمة أكد فيها على أهمية افتتاح هذا المقر رداً على قيام سلطات الاحتلال بإغلاق المقر القديم للنادي في القدس المحتلة، وأضاف سماحته أن نادي الأسير عنوان كبير وعظيم عند كل مواطن فلسطيني، وأشار سماحته إلى وحشية الاحتلال، وما يقوم به تجاه شعبنا وأسراه، وبأنه لا يمكن أن تقبله أي شريعة أو أي قانون إنساني.

خلال لقاء وزير الأسرى

المفتي العام: مساندة الأسرى واجب شرعي ووطني

القدس: التقى سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، رئيس مجلس الإفتاء الأعلى- معالي وزير

الأسرى عيسى قراقع، حيث أكد سماحته على أن مساندة الأسرى ودعمهم يعد واجباً شرعياً ووطنياً وإنسانياً، يجب الالتزام به نحو المناضلين الصامدين في سجون الاحتلال، داعياً منظمات حقوق الإنسان والمؤسسات الإنسانية، والقوى الوطنية إلى التصدي للهجمة الوحشية والقمعية بحق أبنائنا وبناتنا الأسرى، وقد ثمن قراقع دور مجلس الإفتاء الأعلى في وقوفه إلى جانب دعم قضية الأسرى، خاصة في هذه الظروف التي تمارس فيها سلطات الاحتلال عدواناً شاملاً على حقوق الأسرى الفلسطينين.

المفتي العام يلتقي رجل دين ياباني

القدس: التقى سماحة الشيخ محمد حسين-المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك- بالسيد (توكيو كاناكوجي) ممثل طائفة الشنتو أكبر الطوائف اليابانية، حيث دار الحديث بينهما حول الإسلام وتعاليمه، مبيناً سماحته أن الدين الإسلامي دين تسامح ومحبة، يقوم على احترام الديانات الأخرى، وأن الإسلام بعيد عن التطرف، ويستنكر الأعمال التي تؤدي إلى قتل الناس الأبرياء، مثلما حدث جراء إلقاء القنبلة النووية على هيروشيما وناغازاكي، فكانت جريمة نكراء بحق الإنسانية، وأن

الإسلام ينهى عن قتل النساء والأطفال، ومن هم في دور العبادة، وحتى الجندي الذي يقع في الأسر؛ فإن الإسلام يحث على معاملته بالحسنى، وينهى عن إيذائه، وقد تلقى سماحته دعوة لزيارة اليابان.

المفتي العام يشارك في حفل تأبين مربية من القدس

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين-المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك- في حفل تأبين المربية الفاضلة المرحومة (علا الغول-

العمد)، وحضر الحفل العديد من الشخصيات الرسمية والشعبية، وبين سماحته في كلمته التي ألقاها أن المرحومة كانت مناضلة، وعملت في ساحات القدس في مجالات الخير والنشاطات الاجتماعية والإنسانية، وكانت مربية ومعلمة ناجحة، وناضلت من أجل الارتقاء بمستوى المرأة الفلسطينية بشكل عام، والمرأة المقدسية بشكل خاص، وأنه كان لها دور في رعاية الأيتام وعائلات الأسرى والشهداء.

مفتي محافظة رام الله والبيرة يشارك في المؤتمر ال 25 لمسلمي أمريكا اللاتينية

ساوباولو: نيابة عن سماحة الشيخ محمد حسين-المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، شارك فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية-

مفتي محافظة رام الله والبيرة- في المؤتمر ال 25 لمسلمي أمريكا اللاتينية ودول البحر الكاريبي الذي عقد في مدينة ساو باولو البرازيلية تحت عنوان (أهمية الأخلاق في حياتنا المعاصرة)، وألقى فضيلته في حفل الافتتاح كلمة شكر فيها الجمهورية البرازيلية على مواقفها الداعمة للشعب الفلسطيني، كما شكر القائمين على هذا المؤتمر، وقدم بحثاً بعنوان (أضواء على ضوابط العلاقات الدولية والإنسانية في الأخلاق الإسلامية)، تطرق فيه إلى الأخلاق الإسلامية في معاملة غير المسلمين دولاً وشعوباً وأفراداً، وأنها تمثلت في العدالة معهم، والوفاء بالعهود والمواثيق الدولية، وحفظ حقوق المدنيين والأسرى في الحرب، واحترام الآخر، ومنع إكراهه على معتقد ديني، وحسن الخطاب والحوار مع الآخرين، وألقى فضيلته خطبة الجمعة في مسجد صلاح الدين في منطقة براس، بيّن فيها أن الإسلام يرفض المغالاة والتطرف في الدين، في الوقت الذي يرفض

فيه التفريط والتهاون فيه، وشارك في المؤتمر عدد من الشخصيات الإسلامية والمسيحية من معظم أنحاء العالم، وقد التقى فضيلته العديد منهم على هامش المؤتمر.

مفتي محافظة رام الله والبيرة ومساعده يلقيان العديد من المحاضرات الدينية

رام الله والبيرة: ألقى فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية-مفتي محافظة رام الله والبيرة- العديد من المحاضرات والندوات والدروس

الدينية لعدد من منتسبي الأجهزة الأمنية، تناول فيها العديد من الموضوعات، كما ألقى فضيلة الشيخ عبد الرحيم العيسه مساعد مفتي محافظة رام الله والبيرة العديد من الدروس الدينية على نزلاء مراكز الإصلاح والتأهيل في المحافظة، وتأتي هذه اللقاءات ضمن التنسيق بين دار الإفتاء الفلسطينية وهيئة التوجيه السياسي والوطني في هذا المجال.

مفتي جنين يدعو النساء للمطالبة بميراثهن دون خوف أو خجل

جنين: دعا فضيلة الشيخ محمد أبو الرب-مفتي محافظة جنين- النساء وشجعهنَّ على المطالبة بميراثهنَّ دون خوف أو خجل من العائلة أو المجتمع، مؤكداً على ذمة المرأة المالية المستقلة عن الرجل في الإسلام، جاءت أقوال فضيلته خلال مشاركته في ورشة عمل بعنوان (حق المرأة في الميراث)، والتي أقامتها جمعية المرأة العاملة الفلسطينية للتنمية في جنين، في مقر جمعية سيدات برقين، وبين فضيلته حكمة مشروعية توريث المرأة والرجل، وضرورة أن تأخذ المرأة حقها كاملاً في الميراث، لما في ذلك من حكمة في إيجاد التوازن الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع.

كما شارك فضيلته في ورشة عمل أخرى تتعلق بحقوق المرأة والرجل وواجباتهما في حماية الأسرة الفلسطينية، وقدم ورقة عمل بعنوان (دور التوعية بحقوق وواجبات المرأة والرجل من منظور إسلامي)، وذلك بدعوى من جمعية الجليل للرعاية والتأهيل المجتمعي الخيرية في جنين، بالتعاون مع برنامج النوع الاجتماعي بوكالة الغوث.

مفتي محافظة طوباس يشارك في ورشة عمل حول سياسات الاحتلال في مناطق الأغوار

طوباس: شارك فضيلة الشيخ حسين عمر -مفتي محافظة طوباس- في ورشة عمل بعنوان (سياسات الاحتلال في مناطق غور الأردن وشمال البحر الميت)، حيث ناقشت الورشة الممارسات الإسرائيلية ضد المواطنين الفلسطينيين، كما شارك فضيلته في حفل تخريج فوج من أفراد الدفاع المدني، وكذلك حفل تكريم الفائزين والفائزات في مسابقة (مروان مخيبر للإبداع الأدبي والفني)، والذي عقد بدعوة من مديرية الثقافة بالمحافظة.

مفتي نابلس: المؤسسة الأمنية هي الضامن لحالة الأمن والاستقرار وسيادة القانون

نابلس: أكد فضيلة الشيخ أحمد شوباش –مفتي محافظة نابلس– أن المؤسسة الأمنية هي الضامن لحالة الأمن والاستقرار، وسيادة القانون، جاءت أقوال فضيلته خلال إلقائه محاضرة دينية لضباط الشرطة وأفرادها في المحافظة، وأضاف أن المؤسسة الأمنية وضباطها وأفرادها، إضافة إلى صومهم وعبادتهم، يقع على عاتقهم مسؤولية حماية الوطن، وإرساء الأمن وتطبيق القانون، ومساعدة الناس والعطف عليهم، وهذا يعطيهم فرصة للتقرب إلى الله من خلال قيامهم بواجبهم الوظيفي والوطني الذي ينبع أصلاً من الواجب الديني.

ومن جانب آخر شارك فضيلته في ندوة دينية علمية بحضور معالي وزير الزراعة، ونقيب مجلس الخضار، وذلك في نادي المدينة، بحضور العديد من الشخصيات، وأكد فضيلته موقف الإسلام من بضائع المستوطنات، وحكم زكاة التجارة والمزروعات، كما شارك في حفلي تكريم أوائل الطلبة في جامعة النجاح الوطنية وجامعة القدس المفتوحة، وشارك في العديد من البرامج الإعلامية والإذاعية.

مفتي محافظة سلفيت يلقي محاضرات ويشارك بفعاليات عدة

سلفيت: ألقى فضيلة الشيخ جميل جمعة–مفتي محافظة سلفيت– محاضرات عدة في قوات الأمن الوطني، حضرها العميد الركن محمد شحادة، قائد المنطقة، وعدد من الضباط والجنود، تناول العديد من الموضوعات التي تهمهم في حياتهم العملية والدينية، وكان فضيلته قد شارك في ندوة أقامها نادي الأسير الفلسطيني، حيث دعا إلى ضرورة العمل على تحرير الأسرى، كما شارك في ندوة حول المخدرات، أقامتها شرطة المحافظة، مبيناً مخاطر هذه الآفة على المجتمع، وشارك كذلك في الحفل الختامي لفعاليات مخيم

الشرطي الصغير، ومخيم طلائع الشرطة، مبيناً فضيلته المسؤولية الكبرى التي تقع على عاتق رجال الأمن.

مفتي محافظة بيت لحم يحرم بيع الأغذية الفاسدة وتجارتها

بيت لحم: نبه فضيلة الشيخ عبد المجيد عمارنة-مفتي محافظة بيت لحم- إلى تحريم بيع أغذية أو أدوية فاسدة أو منتهية الصلاحية، واعتبر أي تاجر يقوم بذلك وهو يعلم أنها منتهية أو فاسدة بأنها جريمة بحق البشرية التي حرم الله قتلها بغير الحق، كما أن أي كسب مالي منها حرام وسحت، جاءت أقوال فضيلته خلال مشاركته في حلقة إذاعية، تناولت العديد من الموضوعات، وكان فضيلته قد شارك في قرعة الحج للعام 1432هـ، والتي أجرتها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، وأشاد فضيلته بالبرنامج المتطور الذي أدخلته وزارة الأوقاف لإجراء القرعة، مما يثبت النزاهة والشفافية التي تتمتع بها الوزارة في اختيار ضيوف الرحمن، كما شارك في احتفال اليوبيل الفضي لمجلة اللقاء، هنأ فيها القائمين عليها، كما أشاد بنشاطات مركز اللقاء في مجال وحدة المجتمع الفلسطيني وإثراء النخب الثقافية بالأفكار المميزة من خلال عقد اللقاءات والندوات وورشات العمل.

مسابقة العدد 99

السؤال الأول: اكتب ... ؟

1. الآية الأخيرة من سورة آل عمران؟

السؤال الثاني: علل ... ؟

2. إطلاق اسم بكة على مكة؟

السؤال الثالث: ما ... ؟

1. ما جائزة من يصلي مائة آية في ليلة؟
2. ما رأي فرويد في أثر الدين على إحساس الفرد بالقلق؟
3. ما وصف القرطبي للحج المبرور؟
4. ما رأي الإمام الطبري في تكفير الحج للمعاصي المتعلقة بحقوق العباد؟
5. ما المقصود بالمشعر الحرام؟
6. ما اسم ميقات أهل المدينة؟
7. من هما العاكف والباد اللذين ورد ذكرهما في قوله تعالى: {سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ}؟
8. ما المقصود بتحريم مكة؟
9. ما يجب على المعتدة من وفاة من فعل وترك؟
10. ما حكم الحج من مال حرام عند جمهور العلماء؟
11. ما المقصود بالوسط العدل الذي هو مفتاح الصحة النفسية في الإسلام؟
12. ما رأي ابن رجب الحنبلي في عمر الجنين حين تنفخ فيه الروح؟
13. ما اسم وزير الأسرى الفلسطيني في حكومة د. سلام فياض الحالية؟

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: 300 شيكل

الجائزة الثانية: 250 شيكل

الجائزة الثالثة: 200 شيكل

ملحوظتان :

- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح.
- ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 99
مجلة الإسراء / مديرية العلاقات العامة والإعلام
دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب : 20517 القدس الشريف
ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 97

السؤال الأول:

1. القائد صلاح الدين الأيوبي (14)
2. الجابري (80)
3. يوسف عليه السلام (24)
4. أ. مصطفى البكري الصديقي (93)
   ب. عبدالله فنون (100)

السؤال الثاني:

1. 15هـ وفق 617م (20)
2. 1980م (52)
3. 28 /9/ 2000م (64)

السؤال الثالث:

1. (لو أتيت عبدالله بن أبي، فانطلق إليه النبي...) حديث في صحيح البخاري (6)
2. عاقدان، وصيغة، وثمن، والمسلم فيه (38)
3. إن أكلت ثقلت، وإن تركت ضعفت، أنام في المجمع، وأسهر في المضجع (47)
4. اسم العائلة (35)

السؤال الرابع:

1. الطائف (29)
2. كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية (101)
3. قاعة الهلال الأحمر بالبيرة (108)

الفائزون في مسابقة العدد 97

المرتبة	الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
الأولى	أحمد حسين موسى أزعر	نابلس	300
الثانية	محمد لطفي مطلق أبو بكر	رام الله	250
الثالثة	عبد الناصر علي أحمد جوابره	طوباس	200

ضوابط ينبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين وأصحاب الفضيلة العلماء أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملاحظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن 4 صفحات حجم A4، والبحث عن 8 - 10 صفحات.
3. كتابة نصوص الآيات من المصحف الرقمي مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكلة، وصحيحة.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أو الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.org - israa@darifta.org